لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بني سويف والبهنسا

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

دراسات وتأملات في

الثلاثة فتية القداسات

مع سيرة واضعيها

القديس باسيليوس　　القديس غريغوريوس　　القديس كيرلس

دراسات وتأملات فى الثلاث قداسات

مع سيرة واضعيها

الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السيدة العذراء
« المشهير بالسريان »

لجنة التحرير والنشر لمطرانية سوهاج والبهنسا

اسم الكتاب : دراسات وتأملات الثلاثة قداسات وسير واضعيها.
اسم المؤلف : نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء السريان.
الطبعة الثانية : يوليو١٩٩٣
المطبعة : دار الجيل للطباعة
رقم الايداع بدار الكتب : ٩٣/٥٢٩٤ دولى رقم ٠ - ٣٣ - ٥١٠٨/٩٧٧

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وسائر الكرازة المرقسية

(الـ ١١٧)

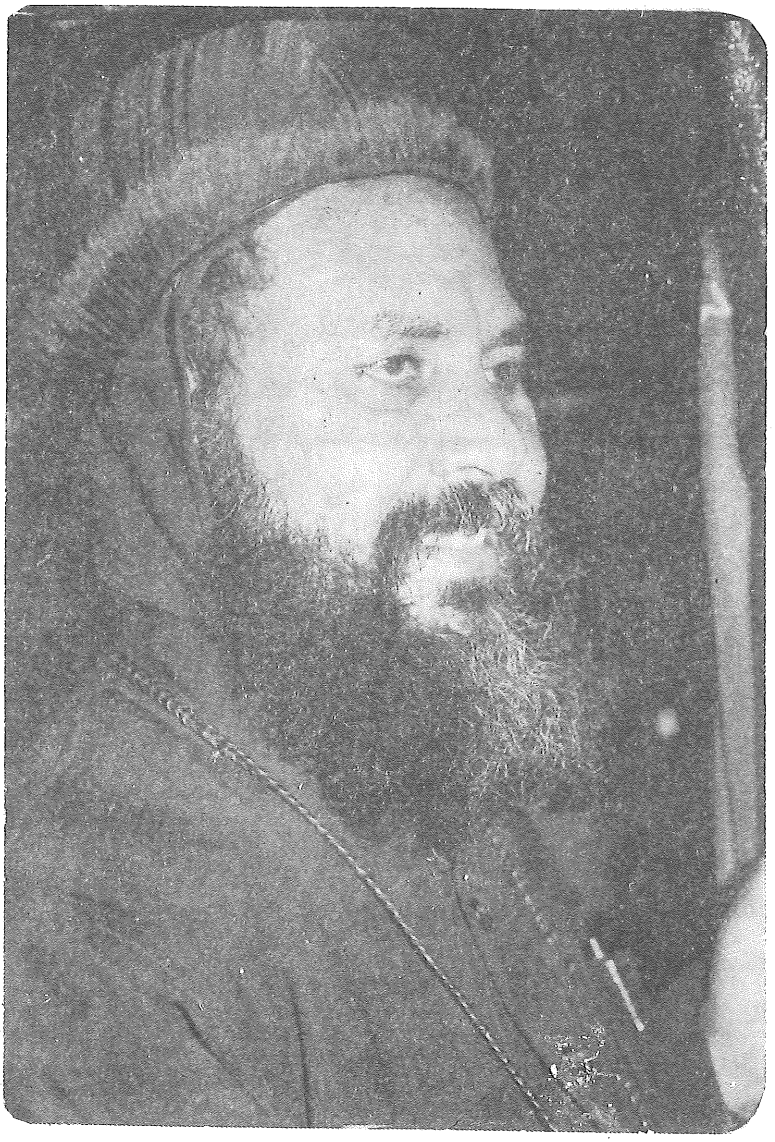

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء

« الشهير بالسريان »

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين
مقدمة

كتبت قبل ذلك - بمعونة الله - كتابين عن القداس الإلهى ، الأول باسم « روحانية طقس القداس فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية » وهو يخدم الآباء الكهنة خصوصاً حديثى الرسامة منهم ، والثانى باسم « كيف تستفيد من القداس الإلهى » وهو متمم للأول ويخدم الشمامسة والشعب إذ يحتوى على الكثير من التأملات الروحية فى القداس وكيفية متابعة صلاة القداس بعمق وروحانية وبلا ملل أو سرحان .

وكانت كل الدراسات والتأملات فى هذين الكتابين منصبة على القداس الباسيلى فقط لأنه أكثر القداسات الثلاثة شيوعاً واستعمالاً فى كنيستنا القبطية .

والآن أحاول محاولة ثالثة متواضعة بعنوان « دراسات وتأملات فى الثلاثة قداسات » ضمنتها بعض الدراسات والتأملات فى :

١ - تقدمة الحمل : وهى مشتركة فى القداسات الثلاثة .
٢ - القداس التعليمى (الموعوظين) وهو مشترك أيضاً فى القداسات الثلاثة .
٣ - القداس الباسيلى .
٤ - القداس الغريغورى .
٥ - القداس الكيرلسى .

ولكى تتم الفائدة وضعت فى مقدمة كل قداس سيرة واضع القداس :

+ فأوردت سيرة القديس باسيليوس بتوسع وتفصيل كما وردت فى كتاب « نسكيات باسيليوس » الذى أصدره دير السريان العامر منذ أكثر من ربع قرن .

+ كما أوردت سيرة القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس صاحب القداس الغريغورى

والصديق الحميم للقديس باسيليوس، وقد أخذتها من كتاب «القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات» للقس بولا البراموسى بشيء من الاختصار.

+ كما أوردت سيرة موجزة للقديس مارمرقس الرسول الواضع الأصلى للقداس الكيرلسى، وقد أخذت هذه السيرة من كتاب «ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول القديس والشهيد» بقلم صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياته.

+ وأخيراً أوردت سيرة القديس كيرلس الكبير الذى دون القداس المرقسى وأضاف إليه بعض الأواشى والصلوات فتسمى باسمه «القداس الكيرلسى» وقد أخذت هذه السيرة من كتاب «القديس كيرلس عامود الدين» الذى أصدرته مطرانية أسوان بفضل نشاط اسقفها المحبوب نيافة الحبر الجليل الأنبا هدرا.

ارجو أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه وسبب استفادة وشبع روحى من القداسات الإلهية، كما أرجو أن يكون وسيلة مبسطة لفهم القداسات الثلاثة وما تحويه من صلوات وأواشى وألحان وطقوس كثيرة حتى «نصلى بالروح ونصلى بالذهن أيضاً. نرتل بالروح ونرتل بالذهن أيضاً» (١كو١٤: ١٥).

بصلوات القديسين الذين وضعوا لنا هذه القداسات لنصلى بها بالروح والحق ونقدم لله عبادة عميقة مقبولة.

أقدم هذا الكتاب مجداً وإكراماً لله ضابط الكل وسلاماً وبنياناً لكنيسته المقدسة التى افتداها بدمه الزكى الثمين..

ونعمة الرب تشملنا جميعاً آمين.

الأنبا متاؤس

الأسقف العام

١٠ يولية ١٩٨٧م.
٣أبيب ١٧٠٢ش.

تذكار نياحة القديس كيرلس الكبير البابا السكندرى الرابع والعشرين.

القداس الباسيلى

سيرة حياة القديس باسيليوس الكبير

اسرة القديس :

فى السنوات القليلة التى تلت انعقاد المجمع المسكونى الأول ، ولد أكبر آلة فعالة فى الكنيسة بعد القديس أثناسيوس الرسولى ، استطاع أن يناضل ضد الأريوسية ، و يقف أمام معتنقيها ومؤيديها من أساقفة وأباطرة ومن إليهم ، فقد ولد باسيليوس -على أرجح الآراء- سنة ٣٢٩م منحدراً من دم مسيحى طاهر نقى ، وهو ينتسب إلى أسرة ضمت بعض الشهداء ، كان جده لأمه من كبار ملاك الأراضى فى بلاد بنطس وكانت جدته لأبيه القديسة -ماكرينا Macrina- تلميذة وفية للقديس غريغوريوس العجائبى ، وقد قاسى هذان الأهوال خلال الأضطهاد الذى أثاره مكسيمينوس الثانى ، وظلا يهيمان على وجهيهما هرباً فى الغابات والجبال لمدة سبع سنوات فقدا فيها معظم أملاكهما كما يخبرنا بذلك القديس غريغوريوس و باسيليوس الثيئولوغوس فى مقالته العشرين ، وبقى من بنيهما إثنان هما غريغوريوس و باسيليوس ، صار الأول أسقفاً على إحدى ايبارشيات كبادوكية . والثانى أبو القديس باسيليوس ، و يدعى باسيليوس . حاز شهرة عالية فى كل بلاد بنطس كمحام عن الفضيلة ومعلم حاذق للبلاغة (البيان) ، كما كانت شخصيته معتبرة جداً فى الكنيسة نظراً لاستقامته وتقواه . تزوج بإمرأة فاضلة يتيمة تدعى « أماليا Emmelia » كان أبوها قد احتمل العذاب والموت لأجل إسم المسيح ، وكانت هى الأخرى مثلاً رائعاً للمرأة المسيحية الفاضلة .

هذه التقوى الثابتة اتحدت فى زواج باسيليوس الأب وأماليا . فانتج هذا الزواج الموفق عشرة أطفال خمسة بنين وخمس بنات ، و يبدو أن أحد هؤلاء الأبناء مات وهو بعد طفل .. وكان أكبر التسعة الأحياء إبنة تدعى ماكرنيا على جدتها ، أما أكبر الذكور فكان باسيليوس صاحب السيرة والثانى نقراطيوس ، والثالث غريغوريوس ، أما الأصغر و يدعى بطرس فقد ولد قبيل وفاة والده بزمن قصير. ومن بين هذه المجموعة الممتازة تذكر الكبرى وهى ماكرينا كقديسة فى حياتها التى دَوّنها شقيقها غريغوريوس . مات نقراطيوس فى شبابه المبكر حوالى التاريخ الذى رسم فيه باسيليوس

أغنسطساً (قارئاً) أما الثلاثة الباقون فقد رسموا أساقفة: باسيليوس على قيصرية، وغريغوريوس على نيصص، وبطرس على سبسطية.

أما عن مكان مولد باسيليوس، فقد ذُكرت مدينتان: قيصرية كبادوكية، وقيصرية الجديدة Neocaesarea فى البنطس ولا نستطيع أن نجزم بأيهما أصح لعدم وجود الدليل الكافى، وذلك لأن الكلمة اليونانية ΠΑΤΡΙΣ كانت تطلق على مكان الاقامة والتملك، وكان والدا باسيليوس لهما ممتلكات ومصالح فى البنطس وكبادوكية، ولكن لعدة اعتبارات يمكن اعتبار قيصرية كبادوكية هى مسقط رأسه.

فيأتى مولد باسيليوس حوالى الوقت بعد النصر الذى حققته الكنيسة بستة عشر عاماً(١). وُلد بعد أن انتهى المجمع المسكونى الأولى (بنيقية) من وضع الصيغة الرسمية للمعتقدات الإيمانية الأساسية، تلك الفترة التى كانت فيها للشرق الأهمية الكنسية واللاهوتية أكثر من الغرب. وهكا تحدّر باسيليوس فى فترة هامة وخطيرة فى تاريخ الكنيسة، تحدّر من أسرة اجتمع لها أصالة الإيمان والتقوى والجاه والشرف والثراء، تقدست بدم شهدائها وتدعمت بتقوى أفرادها من شهداء وأساقفة ورهبان وراهبات.

ثقافته:

ليس مبدأ تعليم باسيليوس هو الوقت الذى أُرسل فيه إلى مدرسة قيصرية كبادوكية أو مدرسة قيصرية الجديدة كما يزعم البعض، وليست هى الفترة التى تتلمذ فيها على يد والده العظيم. ليس هذان هما المكانان اللذان ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بأيام باسيليوس المبكرة، لكنها قرية معروفة قرب قيصرية الجديدة حيث تربى على يد جدته ماكرينا. كانت للأسرة ممتلكات لا بأس بها فى تلك المنطقة التى أقام فيها بعد ذلك... كانت ممتلكاتهم فى أنيسى Annesi على نهر الأيرس Eris « والآن Ermak - Jekil » والمناظر إلى جوارها ذات جمال خيالى، وكانت خلوة باسيليوس فيما بعد على الضفة المقابلة لذلك النهر، ذات المناظر الطبيعية الشاعرية.

---

(١) المقصود بذلك منشور ميلان الذى أصدره الأمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣م، يبيح فيه للمسيحيين أن يمارسوا شعائر دينهم كدين معترف به فى الدولة.

فى انيسى شيدت أمه أماليا هيكلاً على إسم الأربعين شهيداً الذين استشهدوا فى سبسطية، ونقلت إليه ذخائرهم المقدسة. ويحتمل أن يكون باسيليوس قد حضر صلوات التدشين التى كانت تستمر طوال اليوم. فى ذلك المكان الهادىء تلقى باسيليوس مبادىء الدين من جدته ووالده. هنا تلقن الإيمان الأرثوذكسى. ويروى أن الفضل الأول فى توجيهه التوجيه الدينى كان لجدته كما كان أيضاً لأخته الكبيرة ماكرينا.

أرسل فى سن مبكرة إلى مدرسة فى قيصرية كبادوكية. وتعرف هناك بأشخاص من بينهم غريغوريوس النيازينزى، كما أعجب إعجاب الأطفال برئيس الأساقفة ديانيوس Dianius. ويروى لنا غريغوريوس أنه حتى فى تلك الفترة المبكرة حاز باسيليوس شهرة عظيمة لسموه العقلى فضلاً عن شخصيته التقية. فكان فيلسوفاً بين الفلاسفة. وخطيباً بين الخطباء، حتى قبل أن يدرس هذين الفرعين فى العلوم دراسة منتظمة. وفوق كل شىء كان ككاهن بين المسيحيين قبل أن ينال رتبة الكهنوت. وهكذا لفتت شخصيته الأنظار مبكراً.

ثم انتقل باسيليوس من قيصرية إلى القسطنطينية، حيث درس البيان والفلسفة بنجاح، ويقول المؤرخان سقراط وسوزمين أنه تلقى الدرس على يد ليبانيوس فى انطاكية ولكن يبدو أنهما خلطا بين باسيليوس الذى نحن بصدده وباسيليوس صديق القديس يوحنا ذهبى الفم الذى أهدى إليه كتابه «الكهنوت» وليس هناك ما يثبت إقامة باسيليوس فى انطاكية ويحتمل أن يكون قد حضر بعض محاضرات ليبانيوس سنة ٣٤٧ فى القسطنطينية وليس فى انطاكية، وعلى أية الحالات، فإن معلوماتنا عنه فى سنى إقامته الخمس فى القسطنطينية ضئيلة.

ارتحل باسيليوس إلى أثينا سنة ٣٥١ طبقاً لما كان متبعاً آنذاك بالنسبة إلى الذين يريدون أن يتموا دراساتهم العليا. كانت أثينا من أشهر المدن الجامعية فى العالم لقد ركزت رومه والقسطنطينية لذاتيهما الثروة والسلطان الأمبراطورى، ولكن أياً منهما لم تفلح فى أن تزحزح أثينا عن مركزها فى دنيا الآداب والمعارف، ذاك الذى حازته بواسطة التقليد الأدبى والتعليمى منذ ثمانية قرون خلت. فكانت أثينا بصيتها الذائع القديم وتقاليدها التاريخية من ناحية، وأساتذتها الممتازين فى الفلسفة والبلاغة من

ناحية أخرى، ماتزال تجذب إليها الجمهرة من الطلاب من كل أنحاء بلاد اليونان، بل من مقاطعات آسيا النائية أيضاً.

أمضى باسيليوس قرابة خمسة أعوام فى المدينة العتيقة أثينا، ولدينا محصول وفير من المعلومات عن حياته هناك مما كتبه صديقه غريغوريوس النيازينزى الذى كان قد سبقه إليها، يقول غريغوريوس إن شهرة باسيليوس كانت قد سبقته إلى أثينا، فانتظره كثير من الشبان وتنافسوا على صداقته. وكانت العادة بين الشبان أنهم يفاجئون الطالب القادم ببعض الأمور الهزلية حتى يعجموا عوده و يعرفوا شيئاً عن شخصيته. لكن باسيليوس لم يتعرض لهذه التجربة ممن هم أقدم منه فى الدراسة.

أما من جهة الشابين الكبادوكيين، فقد عملت كل الظروف على توطيد أواصر الحب بينهما، ذاك الحب الذى ربطهما حتى الموت، فقد جمعتهما أهداف روحية مسيحية مقدسة، حتى قيل عنهما إنهما كانا روحاً واحدة فى جسدين، وغدت صداقتهما فصلاً رائعاً فى تاريخ الآباء. وهكذا لم يكن للشعر والفصاحة ـ والحالة هذه ـ قدرة على إضعاف ميولهما الروحية وحياتهما التقوية. لقد عاشا سوياً، وساعد كلٌ صديقه للاستفادة من كل فرص التعليم التى أتاحها لهما ذلك المكان. امتنع الشابان كلية عن كل اللذات التى تتفشى عادة بين الشباب. وفى ذلك يقول غريغوريوس: «عرفنا شارعين فى المدينة: الأول وهو الأحسن كان يؤدى إلى الكنائس وخدام المذبح، والآخر ـ وكنا لا نعتبره كثيراً ـ كان يؤدى إلى المسارح والملاعب والأماكن غير المقدسة فقد تركناها لغيرنا ... كانت القداسة هى شغلنا الشاغل، وكان هدفنا أن ندعى وأن نكون بالحقيقة مسيحيين، وفى هذا وضعنا كل مجدنا (٢).

والحق أن الاقامة فى أثينا وقتذاك والانشغال بالدراسة الكلاسيكية (القديمة) ـ بالنسبة إلى الشاب غير المؤسس جيداً فى المسيحية ـ كانت فرصة مليئة بالتجارب، وكان من السهل أن يشعل الحماس للوثنية وإن كانت قد فقدت حيويتها. ولدينا مثل واضح على ذلك، فقد لازمهما فى الدراسة فى أثينا الأمير يوليانوس ابن عم قسطنطيوس الأمبراطور الحاكم آنذاك. وكان الأمير الشاب تربطه بباسيليوس صداقة قديمة جداً،

(2) Greg. Naz. Oration 43.

وقد إعتاد أن يدرس معه الكتاب المقدس و يعدد المقارنات بين تعاليم الكتاب السامية ودروس أساتذته الوثنيين ، ومع كل هذا فإن يوليانوس تأثر تأثراً عميقاً بالوثنية ، حتى إنه حينما صار أمبراطور فيما بعد ارتد عن المسيحية وصار يعرف فى التاريخ باسم يوليانوس الجاحد أو المرتد . لكن باسيليوس وغريغوريوس كانت تحدوهما نصيحة قدمت إليهما بالسعى حيثياً نحو الهدف المقدس ـ الحياة الأبدية ـ نتى كل المسرات وأمجاد العالم تعتبر بالقياس إليها كظلال وأحلام . فكانا حذرين فى الاستفادة من مواد دراستهما ، ليأخذا منها فقط ما يعنيهما فى خدمتهما المقدسة فيما بعد . فكانا ـ والحالة هذه ـ كالإنسان الذى يحترس من الأشواك وهو يقطف الورد ، وكالنحلة التى لا يلهيها لون الزهرة وأريجها عن امتصاص رحيقها ...

تلألأت عبقرية باسيليوس الدراسية فى أثينا . ويخبرنا غريغوريوس بأن اجتهاد صديقه وتركيزه ومثابرته كانت عظيمة . وكان بارعاً فى كل فرع من فروع العلم كما لو كان متخصصاً فيه وحده . كانت أحب المواد إليه الفصاحة والبيان والفلسفة والفلك والهندسة والطب . لكن كل سموه العقلى يتضاءل إذا قورن بنقاوة حياته وطهارة سيرته . أما أشهر أستاتذته الذين تتملذ لهم فى أثينا فكانا بروهارسيوس المسيحيى الأرمنى ، وهيميريوس الوثنى البيثينى .

العودة إلى الوطن :

واخير حان الوقت لتنفيذ ما عقد عليه الصديقان العزم من ممارسة الحياة النسكية بعد عودتهما إلى وطنهما بأكثر قوة . وحلَّ يوم الرحيل . وحاول أصدقاؤه أن يحجزوه بالعناق والعبرات ، لكن باسيليوس تعلق بغرض قلبه وتغلب على جهود رفاقه لتعويقه فى أثينا ، وقد تأثر غريغوريوس كثيراً فى نفسه من معاملة زملائه وأساتذته الذين ازدحموا حوله . أما باسيليوس فشرح لاصدقائه أسباب رحيله ، وتركهم حزانى ، ومضى . ولكن غريغوريوس أذعن لهذه المحبة الفياضة غير أنه لم يبق طويلاً .

وهكذا عاد باسيليوس بمفرده إلى وطنه سنة ٣٥٦ . عاد ليجد أن والده وجدته ماكرينا قد توفيا أثناء غيبته ، وأن أمه أماليا قد استقرت فى أنيسى ، المكان الذى تدرب فيه وهو بعد صغير .

رحبت قيصرية كبادوكية بباسيليوس كأحد أبنائها الممتازين. وكانت شهرته فى أثينا قد سبقته إلى كبادوكيا. عرضت عليه وظيفة مدرس للشبان بقيصرية، فقبل واشتغل بالتدريس لمدة عامين تقريباً بنجاح عظيم. وكانت المدن الأسيوية فى القرن الرابع تحتفظ بأفخر تقدماتها لفلاسفتها الناجحين الذين كان من بينهم باسيليوس ولاشك. وفى خلال السنتين القصيرتين فى التدريس أحرز باسيليوس شهرة عالية حتى أن قيصرية الجديدة أرسلت وفداً يلتمس منه الاشتغال بالتدريس فى مدينتهم ـ ولكن عبثاً حاولوا استمالته بالوعود السخية.

و يبدو أن حماسته للحياة النسكية ـ التى كان قد عقد العزم عليها مع صديقه غريغوريوس فى أثينا ـ قد فترت إلى فترة وجيزة، وسط جو الاعجاب والمديح الذى أثارته ثقافته. و يبدو أيضاً أن باسيليوس، فى تلك الفترة قد داخله نوع من العجب والكبرياء الأدبى، وتطلع إلى المراكز العالمية العالية التى يشغلها أمثاله. كما يخبرنا بذلك أخوه القديس غريغوريوس أسقف نيصص، بل عرضت عليه وظيفة علمانية ذات مركز عظيم.

تكريس حياته :

هنا ـ فى تلك الفترة العصيبة من حياة باسيليوس ـ تدخلت أخته التقية ماكرينا، التى أزعجتها أن ترى أخاها باسيليوس غائصاً فى درس العلوم الطبيعية والبشرية، يكاد تيار العالم أن يطويه فى لججه. فحثته على طلب العلوم التقوية التى تغرس البر فى القلوب، وشرعت تذكر له بطلان أمجاد العالم. وبواسطة نفوذها تيقظت فيه ثانية مثاليته، ونجحت أخيراً فى إقناعه كموسى جديد يُفضل العبرانيين على خزائن مصر، كما يخبرنا بذلك أيضاً القديس غريغوريوس أسقف نيصص.

فى هذه الفترة (سنة ٣٠٧) تعمد باسيليوس. وبعدها بقليل سيم اغنسطساً (قارئاً) بيد الأنبا ديانيوس أسقف قيصرية.

وقد اتخذ القديس غريغوريوس النيازينزى من سيامة باسيليوس أغنسطساً سبباً فى اظهار الأسى على السيامات التى كانت تتم بسرعة فى زمانه، والتى عن طريقها نال كثيرون الكهنوت بدون التدرب اللازم حتى خشى أن تصبح أكثر الرتب قدسية هى

أكثرها هزءاً. فقال: لا يدعى أحد طبيباً أو رساماً إلا بعد أن يكون قد درس طبيعة الأمراض أو خلط الألوان ورسم الأشكال. لكن الكهنة يقامون ارتجالاً. يُحمل به و يُولد فى آن واحد، كالمارد فى القصة الخرافية! إننا نصير قديسين فى يوم واحد. فالذين ليس لديهم أى استعداد روحى ولا يعرفون شيئاً عن الكهنوت سوى الرغبة فى الحصول عليه، هؤلاء يطالبون الناس أن يكونوا قديسين ومتعلمين! ولكن باسيليوس لم يكن هكذا، فهو الذى كان يمارس أدنى وظيفة فى الكنيسة وهى قراءة الأسفار المقدسة للشعب لمدة طويلة، قبل أن يتقدم للقسسية والأسقفية ...»

وهكذا استيقظ باسيليوس كما من حلم، وتطلع إلى نور الانجيل المجيد فرأى تفاهة حكمة العالم التى توصل إلى لا شىء. وبعد أن ناح على حياته الشقية، بحث عن شىء يرشده و يقوده إلى طريق البر. كان تواقاً إلى إحداث تغيير فى حياته العملية بعد أن طال انزعاجه نتيجة لإتصاله بأهل و يقول فى بساطة ظاهرة «لذلك لما قرأت كتابى المقدس، ووجدت فيه أنه عون عظيم على الكمال أن نبيع كل مالنا ونوزعه على الأخوة الفقراء، حتى نكون بلا همّ فى أمور هذه الحياة، ونقمع شهواتنا حتى لا ننشغل بحب أى شىء هنا، حينئذ وددت لو أجد أخاً أختار هذا الطريق فى الحياة حتى بالتعاون معه يمكننى أن أقضى غربة هذا العالم القصيرة ...».

حياته النسكية:

هكذا أفاق باسيليوس على صوت أخته ماكرينا، وكرس حياته لمن أحبه. بل أكثر من هذا أنه اختار لذاته طريق الوحدة، طريق الكمال المسيحى، الأمر الذى كان قد توافق عليه مع صديقه غريغوريوس.

و يبدو أنه من الأمور التى حركت فيه كوامن نفسه ودفعته دفعاً لتنفيذها، مسلك أمه وأخته ماكرينا. فبعد أن استراحتا من أعبائهما العائلية بعد أن كبر أصغر الأولاد، حوّلتا منزل الأسرة فى أنيسى على نهر الإيرس ليكون منسكاً فى وسط تلك الربوع الهادئة، وأقامتا هناك فى حياة نسكية. وسرعان ما جذب هذا المنسك إليه -على الرغم من خشونة الحياة فيه- عذارى من كبرى العلائلات فى كبادوكية.

ونحو سنة ٣٥٨، حينما كان كان باسيليوس دون الثلاثين من عمره، ترك قيصرية ليبحث عن النساك المشهورين ليحتذى بهم. فزار منطقة الاسكندرية وصعيد مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين. وقد أثار إعجابه شدة زهد وتقشف هؤلاء النساك الذين قابلهم، خاصة فى مصر وفلسطين. أثار دهشته فيهم ضبط النفس واحتمال النسك ومقدرتهم على الصوم والسهر واحتمال العرى والبرد. والطريقة الخارقة للعادة التى يعاملون بها أجسادهم كأنها مأوى غريب يقيمون فيه لفترة ما، وقد سجل إعجابه هذا بعد ذلك فى إحدى رسائله(٣). وهكذا ظل يدرس لمدة سنتين تقريباً التقاليد الرهبانية المثالية التى ترجع إلى القديس أنطونيوس الكبير أب الرهبان(٤). وكان ما رآه فى حياة الرهبان والمتوحدين خلال رحلاته حاثاً له على الاسراع فى الحياة النسكية، فباع ما يخصه من أملاك ومقتنيات ووزعها على الفقراء والمحتاجين، وبدأ يفكر فى أنسب الأمكنة لتوحده.

فكر أولاً فى تأسيس دير فى أقليم تبرينا بجوار إرينانزوس موطن صديقه غريغوريوس ثم عاد فاختار بقعة فى البنطس تسمى إيبورا على نهر الإيرس، لما تمتاز به من جمال طبيعى خلاب وهدوء شاعرى. وربما فعل هذا حتى يستميل صديقه غريغوريوس إلى التوحد معه فى البنطس. كان هذا المكان على مقربة من المنسك الذى تعيش فيه أمه أماليا وأخته ماكرينا مع بعض العذارى التقيات والمثقفات.

وكتب إلى صديقه غريغوريوس يقول: «ولقد أرشدنى الله إلى منطقة تتفق تماماً وطريقتى فى الحياة. إنها حقاً ماكنا نتوق إليه فى أحلام يقظتنا. إن ما كان الخيال يظهره لى بعيداً أصبحت أراه الآن أمامى. جبل عال تكسوه غابة كثيفة، ترويها فى الشمال جداول دائمة الجريان، وعند سفح الجبل يمتد سهل فسيح كثير الفاكهة نتيجة للأبخرة التى ترطبه. أما الغابة الميحطة حيث تتنوع الأشجار وتزدحم، فهى تعزلنى عن العالم كما فى قلعة حصينة. والبرية محاطة بواديين عميقين ضيقين. على أحد جانبيها ينحدر مجرى الماء بقوة من الجبل مكوناً حاجزاً من الصعب عبوره. وعلى

(3) Basil, Epps: 207, 223.

(4) Bas. Ep. 223.

الجانب الآخر حافة فسيحة تجعل الاقتراب منه أمراً صعباً. ويقع كوخى على القمة وبذا أشرف على السهل الفسيح كما على طريق الأ يرس... هل أحدثك عن الطيور المغردة الجميلة والنباتات الغنية بأزهارها؟ لكن ما يبهجنى أكثر من كل ذلك هو السكون الذى يخيم على المكان، لا يقطعه إلا بعض الصيادين الذين يأتون من وقت لآخر لصيد الماعز البرى والأ يائل التى تكثر فى البرية. كيف استبدل هذا المكان بآخر؟!»

هذه الصورة الخيالية التى تشير إلى أن تلك الحياة النسكية كان لها جانبها المثالى والشاعرى بالنسبة إلى العقول المثقفة. بل أنها تكشف لنا عن إحساس باسيليوس المرهف وتذوقه للفن وجمال الطبيعة، متمشياً فى ذلك مع المسيحية التى ترى فى الطبيعة وما فيها من جمال كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه عن قدرة الخالق وحكمته وإنعامه.

الحق أن القديس باسيليوس كان يعشق الطبيعة، وله تأملات كثيرة فى السماء، والنجوم، والطيور وأجناسها، والأسماك، والحيوان، والنبات وغيرها. كان يصفها وصف عالم عاكف على دراستها. وكان يرى حكمة الله وراء جميعه، يقول «إذا كنت فى حدود الليل تتأمل الجمال الأخاذ الذى للنجوم. فإنك ترى الفنان الذى صممها وزين السماء بهذه الورود. وإذا كنت فى الصباح المبكر، تتعلم عن عجائب النهار، وخلال الأشياء المنظورة ـ تصل إلى غير المنظور».

وفى تلك البقعة الهادئة، أعتقد القديس ـ وقد تحرر من كل اهتمامات الحياة العالمية ومعطلاتها وتشتت الفكر فيها ـ أنه يستطيع أن يخدم الله حسناً. يقول «ما هو أكثر غبطة من مشابهة الملائكة على الأرض؟! فى بدء النهار ينهض الإنسان للصلاة وتسبيح الخالق بالترتيل والأغانى الروحية. ومع شروق الشمس يبدأ العمل مصحوباً بالصلاة إينما ذهب مُملحاً كل عمل بالتسبيح. إن سكون الوحدة هو بدء تنقية النفس، والعقل إن لم يضطرب لأى شىء، ولم يتشتت عن طريق الحواس فى أمور العالم، يرتد إلى ذاته، ويرتفع إلى التفكير فى الله...» هناك فى الوحدة وجد فى الأسفار المقدسة ـ كما فى مخزن الأدوية ـ العلاج الحقيقى لعلّته.

بدأ فى خلوته فى البنطس نظاماً نسكياً شديداً ، و يبدو أنه تسبب فى ضعف صحته ضعفاً شديداً ، الأمر الذى شكا منه مراراً كثيرة فى رسائله ولكن من الانصاف أيضاً للحقيقة أن نقول إنه ذُكر عن ملازمة المرض له منذ طفولته .

أما عن طعامه ، فلم يكن يتناول أكثر مما كان ضرورياً فعلاً ليسد رمقه من أفقر الأطعمة ، وفى بعض الأحيان لم يكن ذلك الطعام شيئاً سوى الخبز والماء (٥) . وحتى بعد أن أصبح رئيس أساقفة ، ما كان يطهى لحماً فى مطبخه . كان يملك ثوباً خارجياً وآخر داخلياً فقط ، وكان يرتدى فى الليل مسوحاً من الشعر ينام به ، ولم يكن يرتديه بالنهار لئلا يبدو متظاهراً بالنسك . وكان ينام قليلاً . وكانت الشمس مدفأته فى تلك المناطق التى يشتد بردها بعنف (٦) . و يقول عنه شقيقه القديس غريغوريوس أسقف نيصص إنه كن يقمع جسده و يستعبده كقول الرسول بولس ، بل أنه كان يعامل جسده كما يعامل سيدٌ غضوب عبداً هارباً ، وهكذا أضنى جسده من صرامته النسكية فذوت صورته ، وكان ذلك بمثابة بذور الأمراض التى أودت بحياته كشهيد فى أواخر حياته . و يصفه صديقه القديس غريغوريوس النيازينزى فى تلك الحال فيقول « كان بلا زوجة ، بلا قنية ، بلا لحم ، و يكاد يكون بلا دم (٧) » .

وسرعان ما عُرف باسيليوس فى حياته الجديدة وذاعت قداسته . فأصبح نواة تجمّع حوله نساك البنطس فقد سبقه إلى ذلك يوستانيوس الذى من سبسطية ، الذى سجل باسيليوس إعجابه بشخصيته النسكية ، لكن نظام الجماعات الرهبانية أو نظام الشركة فى تلك الأصقاع ، يعزى إلى القديس باسيليوس فضل إظهاره ، و يُعتبر هو المؤسس له هناك دون شك ، وما لبث أن انتشر مثاله ، فتأسست جماعات من النساك العمالين من الجنسين من جميع أنحاء البنطس ، وكان كل منها مركزاً فعالاً فى التبشير بمعتقد مجمع نيقية المقدس والدفاع ضد الأريوسية .

---

(5) Greg. Naz. Or. 20 and Greg. Nys. De Basit.

(6) Greg. Naz. Or 20 .

(7) Greg. Naz. Or. 19 .

وقد نجح القديس باسيليوس فى جذب صديقه غريغوريوس إليه، وواظبا معاً على الصلاة والدراسة والعمل اليدوى، وجمعا مختارات من كتابات أوريجانوس عرفت فيما بعد باسم الفيلوكاليا Philocalia، وأخذا من كتاباته مادة لتدعيم الإيمان الأرثوذكسى ضد الأريوسية.

فى ميدان الخدمة العامة:

وحتى ذلك الوقت لم يُلاحظ أن القديس باسيليوس اشترك فى نشاط عام، بل كان قابعاً فى خلوته فى البنطس بالصورة التى ذكرناها.

ثم ترامى إلى سمعه أن ديانيوس رئيس أساقفة قيصرية قد قبل قانون إيمان أريوسى يُدعَى اريمينى Ariminum فترك القديس خلوته ومضى إلى ذلك الأسقف ونبهه إلى زلته، فرجع وقبل الإيمان النيقاوى وهو على فراش الموت. وتنيح ديانيوس وخلفه أوسابيوس.

أقنع غريغوريوس النزينزى صديقه باسيليوس بالذهاب إلى قيصرية لمعاونة أوسابيوس، فذهب إلى هناك ورسم قساً بيد أوسابيوس سنة ٣٦٤م بعد تمنع شديد نتيجة لشعوره بعدم الأهلية لتلك الرتبة السامية. وحوالى ذلك التاريخ كتب كتبه ضد يونوميوس Eunomius، وربما كان عمله هذا هو الذى زكاه لدى أوسابيوس.

وصار باسيليوس الشخصية ذات الأثر الأكبر فى كل الأبيارشية، وكان هذا عاملاً على إظهار ضعف شخصية أوسابيوس، الأمر الذى أدى إلى فتور العلاقات بينه وبين أسقفه. وسرعان ما زاد هذا الفتور حتى إنتهى إلى القطيعة، فعاد باسيليوس إلى منسكه يصحبه صديقه غريغوريوس وهناك أمضى الصديقان ثلاث سنوات فى الوحدة، عكفا خلالها على الكتابة ضد الأمبراطور يوليانوس الذى ارتد عن المسيحية مصاباً بنكسه هيلينية.

ولما ارتقى العرش الامبراطور فانس الأريوسى، حاول بكل سلطته أن ينشر هذا المعتقد الفاسد. وفى هذه الأزمة طالب الشعب بعودة باسيليوس، فحاول أوسابيوس أن يستميل غريغوريوس ليكون بجانبه، ولكن هذا الأخير رفض العودة بدون باسيليوس،

وكان مما كتبه إلى أوسابيوس قوله «أتكرمنى بينما تهينه؟ إن هذا يعنى أنك تربت علىّ بيد وتلطمنى بالأخرى. صدقنى، إن عاملته كما يستحق فسيكون لك فخر. وأنا سأتبعه كما يتبع الظل الجسم». وأخيراً -بفضل مجهودات غريغوريوس أيضاً- تم التوفيق بينهما. وعاد باسيليوس إلى قيصرية على أهبة الاستعداد للتعاون بكل اخلاص مع أوسابيوس مستخدماً كل فصاحته وعلمه لإحباط هجمات الأريوسيين. وقد نظم المقاومة الأرثوذكسية ضد الأنوميين الذين كانوا جادين فى نشر معتقدهم فى كل آسيا الصغرى، وكرّس جهوده فى إزادة قوة الايبارشية مؤيداً سلطة أوسابيوس رئيس الأساقفة معاملاً إياه بما يليق بمركزه وسنة من إكرام. وأثبت باسيليوس بذلك أنه -على حد تعبير غريغوريوس- غدا عكاز شيخوخة، ودعامة الإيمان الأرثوذكسى، وأكثر أصدقائه وفاء، وأكثر الخدام كفاءة (٨).

ولم تكن الإحتياجات اللاهوتية وخدمة الكنيسة فى زمن باسيليوس لتمنعه من تكريس جزء كبير من طاقته لأعمال الرحمة. فمن المحتمل أن المؤسسة العظيمة التى أقامها فى ضواحى قيصرية لعلاج المرضى وإراحة المسافرين والفقراء، قد وُضع تصميمها -إن لم يكن قد بُدىء فيها- فى أواخر سنى قسيسيته. وقد عُرفت هذه المؤسسة أخيراً باسم باسيلياد Basiliad، وكانت بمثابة المؤسسة الأم، وسرعان ما قامت مؤسسات أخرى مشابهة فى المناطق القروية للأقليم يشرف على كل منها خورى ابسكوبس.

ومن أبرز الحوادث فى تلك الفترة، المجاعة التى اجتاحت كل الإقليم سنة ٣٦٨م. وفى خلالها كان باسيليوس مثال الخادم الذى يضع نفسه من أجل مخدوميه. فلم يكن يكتف بحّث الأغنياء والتجار الجشعين على الرحمة، وإنما باع ممتلكاته التى كانت قد آلت إليه مؤخراً بعد انتقال أمه ووزعها على المحتاجين، وخدم بشخصه احتياجات المتألمين. وكان الخدم يحضرون إليه إكواماً من الأطعمة وهو يوزعها بيديه بينما يعزى بكلماته المتضايقين و يشجع المتألمين.

---

(8) Greg. Naz. Or. 20.

القديس باسيليوس رئيس الأساقفة :

نحو منتصف سنة ٣٧٠م توفى اوسابيوس رئيس **أساقفة قيصرية**، وبانتقاله أصبح الكرسى خالياً أصطلاحاً، لأن الشخصية التى شغلته من الناحية الرعوية كانت مازالت على قيد الحياة. وكان واضحاً أن نصرة الأرثوذكسية فى كل آسيا الصغرى هى فى أن يشغل باسيليوس هذا المنصب.

ولكن أى طريق كان على باسيليوس أن يسلكه؟ هل ينسحب فى هدوء، أو يرشح آخر دونه، وفى ذلك ما فيه من إضرار بقضية الإيمان؟ وإذ أراد أن يتخلص من هذا المأزق، أرسل إلى صديقه غريغوريوس يلح عليه فى الحضور بحجة اعتلال صحته، وإن كان قصده فى الحقيقة ترشيحه لذلك المنصب وأسرع صديقه قاصداً قيصرية ليكون إلى جواره، ولكنه شعر أن هناك شيئاً غامضاً فى الموضوع، وأن المسألة ليست مرض باسيليوس، فقطع رحلته وعاد ثانية إلى نيزنيزا.

وقد قام غريغوريوس الأسقف (والد غريغوريوس النيزنزى) ـ وكان شيخاً وقوراً ـ بدور هام فى هذا الموضوع. فقد أملى على إبنه غريغوريوس خطاباً إلى الكهنة والرهبان والحكام والشعب فى قيصرية يدعوهم إلى اختيار باسيليوس. كما أرسل خطاباً آخر إلى الأساقفة الذين لهم حق الانتخاب يحضهم فيه ألا يجعلوا ضعف باسيليوس الصحى حائلاً دون انتفاع الكنيسة بمواهبه وتفوقه الملحوظ فى الروحيات والعلوم الكنسية. وكان أكثر الأساقفة نفوذاً هو أوسابيوس أسقف ساموساط، فكتب إليه غريغوريوس العجوز مقنعاً إياه بضرورة زياة قيصرية وأن يأخذ على عاتقه توجيه الرأى العام لهذه المهمة.

وكانت قيصرية منقسمة إلى معسكرين: كان جميع الناس الأخيار مع الكهنة والرهبان يؤيدون انتخاب باسيليوس بحماس كبير. أما معارضوه فكانوا يتألفون من الأساقفة الأريوسيين، وبعض ذوى الغنى والمراكز ممن كانوا يعيبون عليه إنكاره لذاته وزهده، وبعض الأشرار والفجار لمقاومته لهم وتوبيخه إياهم. أما بالنسبة إلى شعب قيصرية فقد كان باسيليوس الرجل الروحانى ذا المقدرة العظيمة الذى يستطيع صد تيار

الهرطقات. وقد استطاع اوسابيوس بنفوذه أن يتغلب على كل الصعاب. وانتهى الموضوع بوصول الشيخ الوقور غريغوريوس، الذى حالما علم باحتياج باسيليوس إلى صوت واحد ليحصل على النصاب القانونى لانتخابه، غادر فراش مرضه محمولاً على نقالة إلى قيصرية مخاطراً بنفسه، واشترك فى رسامة باسيليوس وإجلاسه على كرسيه، وكان ذلك سنة ٣٧٠م.

كان لرسامة باسيليوس رنة فرح فى كل العالم الأرثوذكسى، حتى أن البابا أثناسيوس الرسولى بطل الإيمان أرسل من الأسكندرية مهنئاً كبادوكية بهذا التوفيق. أما فى القسطنطينية فقد قوبلت رسامته بمشاعر مختلفة، إذ شعر الأمبراطور فالنز أنها صدمة خطيرة له وللأريوسية، لأن باسيليوس لم يكن خصماً يستهان به. فهو ـ فضلاً عن قوة شخصيته ـ كان نفوذه كرئيس أساقفة قيصرية يمتد إلى ما وراء حدود المدينة ذاتها. فكان رئيساً على أساقفة كبادوكية كلها، وله نفوذ فى بلاد البنطس وفى أكثر من نصف آسيا الصغرى، وكانت تنضوى تحت لوائه نحو إحدى عشرة مقاطعة، وكانت انقرا وقيسارية الجديدة وتيانا وأسقفيات أخرى تعتبره الرئيس الكنسى لها.

الصعاب التى واجهته فى أسقفيته:

أولاً ـ الأساقفة:

كان هناك فريق من الأساقفة قد رفضوا الاشتراك فى رسامته، وهؤلاء تحولوا من العداء المكشوف إلى المقاومة السرية، وكانوا يعاملونه باستخفاف، مظهرين رغبتهم التامة فى مشاركته فى كل خططه(٩)، وقد شكا هذه الحالة إلى أوسابيوس الساموساطى(١٠) وكان هذا المسلك غير المخلص من جانبهم سبباً فى ازدياد مرضه. لكنه تمكن على أى حال من التغلب على معارضيه فى سنوات قليلة بالحزم الممتزج بالعطف.

---

(9) Epistle 98.

(10) Epp. 48, 141, 282.

ثانياً ـ تقسيم كبادوكية :

صممت حكومة الأمبراطور على تقسيم كبادوكية إلى أقليمين ، وكان المقصود من ذلك إضعاف مدينة قيصرية ، أو بالأحرى إضعاف باسيليوس وقد اختيرت مدينة تيانا لتكون العاصمة الجديدة للأقليم الثانى .

فطالب أنتيموس أسقف تيانا بتقسيم كنسى يتبع التقيسم الإدارى ، وبأن تتمتع تيانا بامتيازات المدينة العاصمة كما تتمتع قيصرية . أما القديس باسيليوس فعّول على مقاومة المطلب إلى النهاية ، وحدث نزاع بينه وبين انتيموس ولكى يقوى موقفه سام صديقه غريغوريوس على سازيما وهى قرية مغمورة تقع عند مفترق الطريق الذى يؤدى شمالاً من تيانا إلى دورا ثم ينحنى غرباً إلى نيزينزا . كما سام أسقفاً على دورا . وسام أخاه غريغوريوس على نيصص . ولم يثبت فى أسقفيته من هذه السيامات الثلاثة غير أسقف نيصص الذى بعد أن طرده منها الأريوسيون ، تمكن بشهرته وقوته من العودة إليها . أما سازيما فأعيدت إلى أسقفية تيانا ، واعتزل غريغوريوس أسقفها بمرارة وسبب له ذلك الحادث جرحاً لازمه حتى نهاية حياته . أما فى دورا فقد طُرد أيضاً الأسقف الذى سامه باسيليوس .

ثالثاً ـ الأمبراطور فالنز :

لم يمض على القديس باسيليوس أكثر من إثنى عشر شهراً فى أسقفيته ، حتى جاء إلى صدام علنى مع الامبراطور فالنز الذى كان يعبر آسيا الصغرى مصمماً على ملاشاة الإيمان الأرثوذكسى وإحلال الأريوسية محله . وهو الآن يقترب من قيصرية مصمماً على إخضاع بطل الأرثوذكسية فى تلك الجهات . وكان تقدمه مظهراً من مظاهر انتصاره : فقد ضَعُف أمامه كثيرون . وقاومت بثينية فصارت مسرحاً لمآس مرعبة . أما غلاطية المترددة فقد استسلمت دون مقاومة . وكان مصير كبادوكية يتوقف على باسيليوس . نصحه البعض أن ينحنى أمام العاصفة ، ويهدىء من روع الأمبراطور بخضوع وقتى . ولكنه رفض مشورتهم بإباء تشوبه الغيرة المقدسة .

دخلت حاشية الأمبراطور على القديس باسيليوس بتهديدات شديدة وكان أشدهم

وقاحة ديموستينيز رئيس المطبخ الذى هدده بالسكين. فقابل القديس تهديداته بصرامة هادئة.

ثم تلاه مودستس حاكم برايتوريوم. وقد أرسله فالنز إلى القديس باسيليوس يخيره بين أمرين: إما العزل وإما الاشتراك مع الأريوسيين. فاستدعاه مودستس وباسم الامبراطور طالبه بالخضوع، وباسم الله رفض القديس الأمر فهدده مودستس بمصادرة أملاكه وبالتجويع والنفى والتعذيب والموت. فكان رد القديس على هذه الإهانة أن لا شيء من هذه التهديدات يرهبه، فليس له شيء يُصادر سوى قليل من الخرق وبعض الكتب. أما النفى فلا يمكن أن يبعث به إلى ما وراء أراضى الله، إذ الأرض كلها دار غربة بالنسبة إليه. أما التعذيب فلا يخيف جسماً مات بالفعل. أما الموت فإنه يكون كصديق يأتى ليصحبه فى آخر رحلة إلى الوطن الحقيقى وينقله للحال إلى الله الذى يحيا له. وما أن سمع هودستس هذه الاجابة حتى صاح فى دهشة ممزوجة بكبرياء معلناً أن أسقفاً لم يكلمه قط بمثل هذا الكلام. فأجابه القديس فى هدوء «ذلك لأنك لم تقابل أسقفاً حقيقياً». ولما لم يفلح مودستس فى تهديده، أخذ يعده بكرامات وبصداقة الامبراطور وبتحقيق كل مطالبه. لكن شيئاً من كل ذلك لم يُلن عزيمة باسيليوس الحديدية. فأسرع مودستس إلى سيده ورفع تقريره الذى قرر فيه «أن الوسائل المتبعة فى الإرهاب بدت غير قادرة على تحريك هذا المطران الباسل. والشدة هى السبيل الوحيد الذى يتبع مع ذاك الذى لم يجد معه التهديد والملاطفة على السواء». لكن فالنز ـ ككل المخلوقات الضعيفة ـ تذبذب بين الارغام والاذعان، ورفض استخدام العنف ضد باسيليوس وجعل طلبه منه متوسطاً، أن يسمح للأريوسيين بالاشتراك معه. وهنا أيضاً لم يلن باسيليوس ولم يتراجع عن موقفه ولكى ينفذ الامبراطور ما أراد، قصد إلى الكنيسة الرئيسية فى قيصرية يوم عيد الظهور الإلهى سنة ٣٧٢م بعد بدء الخدمة. فوجد الكنيسة زاخرة بالمصلين، تتجاوب أصداء تسابيحهم كالرعد، لم يقطعها دخول الامبراطور وحاشيته، وكان القديس باسيليوس واقفاً فى الهيكل ووجهة نحو الشعب، يحيط به الكهنة وخدام المذبح فى شكل شبه دائرى. وكان جو الكنيسة سماوياً أكثر منه أرضياً. وكان حماس العبادة المنظمة أليق بالملائكة من البشر. كان الموقف رهيباً حتى أن الأمبراطور اضطرب. وحين حان

الوقت ليقدم تقدمته ، تردد الخدام فى قبولها لأنه هرطوقى ، فلم يتقدم أحدهم لأخذها . اهتز الامبراطور وكاد يسقط لولا معاونة أحد الكهنة . و يبدو أن باسيليوس تراءف على ضعف خصمه ، فقبل التقدمة من يده المرتعشة .

وفى اليوم التالى زار فالنز الكنيسة أيضاً ، وأصغى باحترام إلى عظة القديس باسيليوس . و بعد نهاية الاحتفال ناقشه القديس فى الإيمان الأ روثوذكسى . و بدا أنه مال أن يكون صديقاً لباسيليوس ، ومنحه أراضى توقف لنشاطه الخيرى .

محاولة نفى باسيليوس :

كان الوفاق ظاهراً بين فالنز و باسيليوس ، فالقديس لن يسمح للأريوسيين بالاشتراك معه ، والأمبراطور لن يطيق الرفض ، وحينما ظل القديس مصمماً على رفض قبول الأريوسيين فى شركة الكنيسة ، لم يجد هؤلاء كبير عناء فى إقناع فالنز أن نفى باسيليوس ضرورى لسلام الشرق .

استسلم الامبراطور للمشورة وأمر بنفى باسيليوس . وأعد القديس عدته للرحيل ، ورتب أن يكون ذلك ليلاً تجنباً لأخطار الاضطرابات الشعبية . كانت المركبة فى انتظاره على الباب ، وإذا بأمر النفى يوقف ! لقد مرض غلاطس إبن فالنز الوحيد مرضاً مفاجئاً وخطيراً ، وعزت أمه دومينيكا مرضه إلى الأمر بنفى القديس فأرسل الامبراطور اثنين يتوسلان إلى القديس أن يصلى للطفل المريض الذى لم يكن قد تعمد بعد . فاشترط القديس قبل ذهابه أن يعمد الطفل -بعد شفائه- على يد كاهن ارثوذكسى وأن يُلقّن الإيمان القويم . وشفى الطفل بصلاة القديس ، ولكن الامبراطور حنث بوعده وعمّد الطفل على يد أسقف أريوسى ، فساءت حالة الطفل ومات فى تلك الليلة (١١) .

ومرة أخرى استسلم فالنز لضغط أعداء باسيليوس ، وفى تلك المرة رفض القلم أن يطاوع الامبراطور ، وقُصف أكثر من مرة فى يده المرتعشة ، مما جعله يمتلىء خوفاً ورعباً فعدل عن عزمه ، و بقى القديس سيد الموقف (١٢) .

---

(11) Theod, iv., Socr. iv., Greg. Or. 20 .

(12) Theod. iv, Ephr. Svr u.s.p. 65 .

وبالاضافة إلى محاولات النفى، تعرض القديس لإهانات كثيرة من الحكام الأقليميين. أما مودستس عدوه القديم، فقد أصيب بمرض خطير قصد القديس باسيليوس ليصلى عليه، وفعلاً نال الشفاء وصار صديقاً. وازداد نفوذ القديس جداً بسبب ذلك حتى أن الناس كانوا يأتون من مسافات بعيدة طالبين وساطته لديه.

الاضطرابات فى السنوات الختامية:

كانت سنو حياة القديس الأخيرة مظلمة ـ ليس بالمرض ـ ولكن أيضاً بوفاة بعض أصدقائه وحلفائه الأساسيين. ففى سنة ٣٧٣ انتقل القديس أثناسيوس الرسولى. وفى سنة ٣٧٤ انتقل الشيخ الوقور غريغوريوس اسقف نيزينزا، ونُفى أوسابيوس الساموساطى.

ورفع الأريوسيين رؤسهم ثانية. عقدوا مجمعاً فى أنقرة أدانوا فيه أصحاب عقيدة المساواة فى الجوهر! واتخذوا اجراءات كيدية ضد القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كان ذاتها حكم بإدانة غريغوريوس وعزله، ونُفى بعد ذلك بوقت ليس بطويل.

نياحة القديس:

لم يعد جسمه قادراً على تحمل الأعباء، فقد مزقه العمل المتواصل والمرض وكانت توجد فى كبده حالة مزمنة كانت مثار ألمه وشكواه دائماً كما كانت قسوة الشتاء تحجزه أحياناً كثيرة كسجين فى منزله. بل وفى حجرته (Ep. 27).

فى سن الخامسة والأربعين دعا نفسه عجوزاً. وفى السنة التى تلتها خلع كل أسنانه. وفى شتاء سنة ٣٧٨ اقترب إلى الموت. وانتشر النبأ، ووصل الأساقفة إلى قيصرية. كان يُعالج بحمامات ماء ساخن، ولكن فائدتها كانت ضئيلة. وأخيراً لم يعد العقل الجبار، ولا الحماس الملتهب نحو الواجب قادراً على تحريك طاقات ذلك الهيكل الضعيف. وأحاطت الجموع بالمكان الذى كان يرقد فيه، لتصلى بحماسة لكى يبقى معهم. وكانوا مستعدين أن يعطوا حياتهم لأجله.

وفى أول يناير سنة ٣٧٩ سُمع يخاطب الله قائلاً «بين يديك استودع روحى». وللحال انطلق الروح العظيم... وكانت جنازته مشهداً لمشاعر القلوب الجياشة والوقار الذى يذهل العقل. شغلت الجموع كل فسحة، وكل دهليز، وكل نافذة، واشترك الوثنيون واليهود مع المسيحيين فى تشييعه وغطت أصوات البكاء والعويل موسيقى التراتيل الدينية. ودُفن القديس فى قيصرية، وانضم إلى آبائه. وتعيّد له الكنيسة القبطية.

صفاته:

+ من أبرز صفات القديس باسيليوس «المحبة»، المحبة فى شتى صورها، لله وللكنيسة وللآخرين... كتب مرة إلى أسقف صديق يقول «إننا نشعر بجوع متزايد نحو الحب... إننا فى حاجة إلى أخوة أكثر مما تحتاج يد إلى أخرى» وكان استلامه رسالة من صديق بمثابة «الماء لجواد السباق المتعب» كما عبّر هو عن ذلك. ويقول فى إحدى رسائله «إن الشخص الذى يفكر فى نبذ صديق، عليه أن يفكر طويلاً، ويمضى الليالى قلقاً بدون نوم، يطلب إلى الله بدموع أن يرشده إلى الحق» (Ep. 223).

وعلى ضوء هذه المحبة، يمكننا أن ندرك مقدار الحزن الذى سببته حالة الكنيسة فى أيامه إلى روحه المملوءة حباً وتقوى. وقد كان قصده -بالإضافة إلى رد الكنيسة إلى المعتقد القويم- أن يسود عليها روح المحبة نتيجة لوحدتها. وقد أثر مسلك الكثيرين الخاطىء على صحته.

+ أما عطفه على الفقراء والمرضى فكان عظيماً. لقد عاش فقيراً باختياره متشبهاً بسيده، ومن ثم أحب الفقراء وكان يشكو المرض معظم وقته، ولذا أحب المرضى، وعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من مستشفاه العظيم الذى اسسه بجوار قيصرية، والذى عُرف باسم باسيلياد وكانت تبذل فيه عناية خاصة بالمجذومين الذى حُرموا من العناية فى كل تلك الأصقاع، والذين لم يأنف من تقبيلهم أحياناً إظهاراً لحنانه عليهم.

+ أما عن «زهده وتقشفه»، فعلى الرغم من مرضه الطويل ومن عمله المضنى، لم يكن يتناول غير وجبة واحدة فى اليوم من الخضروات والخبز والماء.

+ ولعل من أبرز صفاته أيضاً «**شجاعته**» النادرة، وقد عرضنا فيما سبق لوقفاته المشرفة أمام الامبراطور الأريوسى فالنز وحاشيته، وسبقتها وقفات أيضاً ضد الامبراطور يوليانوس المرتد وكيف كرّس وقته فى وحدته لتصنيف الكتب ضده. عرف الناس فيه هذه الصفة، فلجأوا إليه واحتموا به من الحكام.

+ وهناك ناحية متميزة فى طبيعته الفكرية وهى: **حرصه على إتمام كل شىء.** كان عدواً بطبيعته لأى شىء غير مكمل. وهذا الحب الشديد للكمال هو السر فيما خلف لنا من تصانيف.

+ وقد تميز أيضاً **بالفصاحة** سواء كخطيب منبرى أو كاتب بليغ. كان يتابع الفكرة بكل قوة العاطفة السامية، وسحر البيان، واقتناع المختبر، وفى يسر هائل. وحين كان يعظ كانت كلماته ذات تأثير عجيب. وقد أقرّ بفصاحته محكمون أكفاء، ورفعوا منزلته أكثر من خطباء اليونان المشهورين.

باسيليوس والكتاب المقدس:

على الرغم من أنه تأثر بالعلامة أوريجانوس أكثر من أى معلم آخر إلا أنه لم يتبع الطريقة الرمزية فى التفسير، تلك التى كان أوريجانوس استاذاً لها. أما طريقته فكانت الفهم الحرفى لكلمات. والمواضع التى استخدم فيها التفسير الرمزى نادرة من أمثلتها (مز٢٩، ٦)، حيث فسر «وحيد القرن» بأنه يرمز إلى الرب يسوع المسيح الوحيد فى طبيعته والواحد مع أبيه. وكان القديس باسيليوس يمضى أوقاتاً طويلة فى دراسة الأسفار المقدسة و يدعو المسيحيين إلى الأكثار من قراءة الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد.

نشاطه الرعوى:

كان تحت رئاسته خمسون أسقفاً(١٣). وعلى الرغم من صحته المعتلة، ومشاغله الكثيرة وكفاحه المتواصل، وتصانيفه العديدة، كان دائب النشاط فى افتقاد إيبارشيته

---

(13) Schaff: vol. 3 P. 900.

وتوابعها. وقد كشفت زياراته الافتقادية عدداً من المخالفات الكنسية والأوضاع غير القانونية. وحتى ما يعالج هذه المشاكل من أساسها، جعل ذاته ـ بقدر إمكانه ـ المسيطر على الانتخابات الأسقفية، ورفض بحزم أن يسيم أى شخص غير جدير بهذه الرتبة السامية. فطارت شهرة معاونيه حتى أن الأساقفة الآخرين أرسلوا يطلبون منه رعاة ليكونوا مساعدين لهم (Ep. 81). وقد حافظ على الإتصال المستمر بكل مرؤسيه ومعاونيه وأصدقائه الخصوصيين عن طريق الرسائل، وكان هؤلاء على أتم استعداد لتنفيذ كل تعليماته. وقد مد نشاطه الرعوى إلى حدود أرمينيا. أما نشاطه فى الوعظ فكان عظيماً جداً، ليس فى قيصرية والمدن الكبيرة فحسب، بل حتى فى قرى الأقاليم.

باسيليوس فى نظر معاصريه:

كان القديس باسيليوس. باستثناء البابا أثناسيوس الرسولى ـ أقوى من أىّ من معاصريه الذين شغلوا مناصب فى الكنيسة. وقد طارت شهرته إلى ما بين النهرين حيث كان مارافرام السريانى فاشتاق ذاك أن يراه. وفيما هو كذلك رأى يوماً عموداً من نور وسمع صوتاً يقول «هذا هو باسيليوس الكبادوكى». فازداد شوقه إلى رؤيته والتبرك منه، فقام وذهب إلى قيصرية ودخل الكنيسة يوم الأحد، وكان القديس باسيليوس يقوم بخدمة القداس الإلهى. وفى أثناء العظة شاهد كلمات القديس خارجة من فمه وكأنها ألسنة نارية صغيرة تستقر فى قلوب السامعين. وفى أثناء القداس رأى فمه كأنه ملتهب ناراً، كما كما أبصر حمامة جالسة على منكبه اليمين. أما القديس باسيليوس فعلم بالروح بوجود مارافرام فى الكنيسة فارسل إليه شمامساً واستدعاه وتبارك كل من الآخر.

وقد مدحه آباء كثيرون، منهم ثيئودوريت الذى قال عنه إنه «القديس العالم، نور العالم وليس كبادوكية وحدها، وصفرونيوس الذى وصفه بأنه مجد الكنيسة. وتكلم عنه إيسيذوروس الفرمى كإنسان موحى إليه من الله. أما صديقه القديس غريغوريوس النزينزى (الثيئولوغوس) فقد أفرد له مديحاً طويلاً جاء فيه «... لقد ناظر بطرس فى غيرته، وقوة بولس وإيمانه والنطق السامى الذى لابنى زبدى، واعتدال وبساطة جميع

الرسل . ولذا فقد اؤتمن أيضاً على مفاتيح الملكوت ... وهو لم يُدَع ـ لكنه أصبح ـ إبن الرعد ، وإذ إتكأ فى حضن يسوع ، جذب من هناك قوة كلمته وعمق أفكاره . وفى فضائله المتعددة الجوانب فاق كل رجال عصرنا ... » .

كتابات باسيليوس :

أولاً : العقيدية :

أ ـ ضد يونوميدس : وهى خمس كتب مدحها القديسان جيروم وغريغوريوس النزينزى .

ب ـ عن الروح القدس : فى ٣٠ فصلاً مرسلة إلى امفولوخيوس حسب طلبه .

ثانياً : التفسيرية :

أ ـ الاكسيماروس Hexameron : وهو من أشهر كتبه ، ويشمل ٩ مقالات كانت عبارة عن عظات عن ستة أيام الخليقة .

ب ـ ١٧ مقالاً عن المزامير : الأول عن المزامير عامة ترجمها روفينوس إلى اللاتينية ، والباقية التى وصلت إلينا عن المزامير : ١ ، ٧ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١١٤ .

ج ـ تفسير الـ ١٦ إصحاحاً الأولى من سفر اشعياء .

ثالثاً : الرسائل :

وتشمل حوالى ٤٠٠ رسالة فى موضوعات تاريخية ، عقيدية ، أدبية ، تعليمية ، تفسيرية ، قانونية ، ووسائل للتعزية ، وأخرى عادية .

خامساً : الليتورجية (صلاة القداس) :

توجد ٣ ليتورجيات تحمل إسم القديس باسيليوس ، إحداها هى اللتورجية المستعملة فى كنيستنا .

سادساً: النسكيات:

كتب كثيراً من النسكيات أصدرها دير السريان العامر فى كتاب باسم «نسكيات باسيليوس».

نياحته:

بعد أن أكمل القديس باسيليوس سعيه الصالح تنيح بسلام سنة ٣٧٩م وهو فى الحادية والخمسين من عمره.

وتعيد له الكنيسة القبطية يوم ٦ طوبة بتذكار نياحته وفى يوم ١٣ توت بتذكار الاعجوبة العظيمة التى حدثت على يديه.

بركة صلاته فلتكن معنا آمين.

القداس الباسيلى

ينقسم القداس الباسيلى إلى ثلاثة أقسام كبيرة هى :

١ ـ تقدمة الحمل .
٢ ـ القداس التعليمى (قداس الموعوظين) .
٣ ـ قداس الذبيحة (قداس المؤمنين) .

وفيما يلى نتكلم بايجاز عن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ، مع العلم بأن القسمين الأولين (تقدمة الحمل والقداس التعليمى) هما بعينهما فى القداسات الثلاثة الباسيلى والغريغورى والكيرلسى ، وابتداء من قداس الذبيحة (قداس المؤمنين) يبدأ الإختلاف .

القسم الأول
تقدمة الحمل

كان طقس « تقدمة الحمل » جزء من قداس المؤمنين ، لكن قبل القرن الخامس صار هذا الطقس يمارس فى بداية الليتورجيا (١) كما هو الحال الآن .

١ ـ الاستعداد

+ بعد الانتهاء من صلوات رفع بخور باكر يتأكد الكاهن من وجود قربان الحمل بالكنيسة ووجود قارورة الأباركة ملآنة ، فيلبس هو والشمامسة ملابس الخدمة البيضاء بعد أن يقوم الكاهن برشمها بالثلاث رشومات المعروفة ، ولا يجوز للشماس أن يلبس ملابس الخدمة دون رشمها من الأب الكاهن ، لأن رشم ملابس الخدمة معناه :

١ ـ تقديس هذه الثياب بالرشومات والصلوات .
٢ ـ إذن من الأب الكاهن للشماس بالخدمة الشماسية .

(١) المسيح فى سر الأفخارستيا للقمص تادرس يعقوب ص ١٠٣ .

٣ ـ إذن للشماس بالتناول من الأسرار المقدسة ، لأن من يلبس ملابس الخدمة يجب أن يتقدم للتناول من الأسرار المقدسة فى نهاية القداس .

٤ ـ أن الشماس غير ممنوع من الخدمة أو التناول ولم تصدر ضده أى أحكام كنسية أو حرومات .

+ يلبس الجميع ملابس الخدمةة بعد رشمها وهم يرتلون المزمورين :

٢٩ أعظمك يارب لأنك احتضنتى .

٩٢ الرب قد ملك ولبس الجلال .

+ يصلى الكاهن صلاة الاستعداد ثم يقوم بفرش المذبح وترتيب أوانى الخدمة فى مكانها ، وبعد الانتهاء من فرش المذبح يصلى صلاة ما بعد الاستعداد .

+ يصلى الكاهن ومعه الشمامسة والشعب صلوات السواعى ، ومزاميرها فيها نبوات كثيرة عن السيد المسيح له المجد ، وطقسها كالآتى :

أ ـ فى أيام الفطر كذلك فى أيام السبوت والآحاد والأعياد السيدية التى تتخلل الأصوام تصلى الكنيسة صلاة الساعة الثالثة والسادسة فقط .

ب ـ فى أيام الأصوام تصلى الكنيسة صلوات الثالثة والسادسة والتاسعة .

ج ـ فى أيام الصوم الكبير وصوم نينوى والبرامونات حيث يكون القداس متأخراً ومفروضاً فيه أن ينتهى عند الغروب تصلى الكنيسة صلوات الثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم وتضاف الستار فى الأديرة .

٢ ـ اختيار الحمل

يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات قبل اختيار الحمل :

فى المرة الأولى يقول : تنضح علىّ بزوفاك فأطهر . تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج (مز٥٠ : ٧) .

فى المرة الثانية : تسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى المتواضعة (مز٥٠ : ٨) .

فى المرة الثالثة : اغسل يدىّ بالنقاوة وأطوف بمذبحك يارب لكى اسمع صوت تسبحتك (مز٢٥ : ٦ ، ٧) .

+ هذا الغسل ينظف اليدين استعداداً لاختيار الحمل الطاهر الذى بلا عيب و يشير إلى نقاوة القلب والطهارة الداخلية التى يجب أن يكون عليها الكاهن عند تقديم الحمل .

+ الثلاث مرات تشير للثالوث القدوس لأن كل شىء بالثالوث يكمل..

+ يقوم أكبر الموجودين بعد الكاهن الخديم بتقديم الحمل للكاهن ، يكون عدد قربان الحمل عادة :

٣ قربانات : اشارة للثالوث القدوس .

أو ٥ قربانات : اشارة إلى ذبائح العهد القديم وهى :

وذبيحة المحرقة ودبيحة الخطية وذبيحة الأثم وذبيحة السلامة وتقدمة القربان .

كما أن هذه الذبائح كانت تقدم من خمسة أنواع من الحيوانات الطاهرة والطيور الطاهرة وهى الغنم والبقر والماعز والحمام واليمام (لا ١ ، ٢) .

أو ٧ قربانات : وهى تشير إلى الخمسة ذبائح السابق ذكرها مضافاً إليها عصفورى تطهير الأبرص (لا ١٤) .

+ وقد سمى هذا القربان «حمل» لأن من بينه ستختار القربانة التى ستتحول بالتقديس إلى جسد المسيح حمل الله الذى بلا عيب كقول الكتاب :

١ - هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم كله (يو ١ : ٢٩) .

٢ - عالمين أنكم قد افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة اتى تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح (١بط ١ : ١٩) .

٣ ـ ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والكائنات الحية والقسوس وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم مستحق هو الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة (رؤ٥ : ١١ ، ١٢).

+ المشتركون فى تقديم الحمل ثلاثة أفراد :

١ ـ الكاهن الخديم ٢ ـ مقدم الحمل ٣ ـ الشماس حامل القارورة

وذلك ليتم قول الكتاب «لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة (تث١٧ : ٦). وهنا الثلاثة يشهدون على صلاحية وجودة الخبز والخمر المقدمين فى القداس.

+ يقف الشماس حامل القارورة على يمين الكاهن أثناء اختيار الحمل لأن الدم قد نزل من جنب المسيح الأيمن على الصليب.

+ يختار الكاهن احسن قربانة بعد عمل الثلاث رشومات على الخبز والخمر، والقربانة التى يختارها يجب أن تكون بلا عيب من حيث الشكل وجودة الخبيز، ثم يقوم بمسحها بعناية باللفافة التى معه، كذلك يدقق فى فحص الأ باركة حتى تكون جيدة لا تميل إلى الخل أو الطعم اللاذع جداً.

+ يغمس الكاهن ابهام يده اليمنى من فوهة قارورة الخمر و يرشم به الحمل إشارة إلى مسح الرب يسوع بالروح القدس عندما نزل من السماء على هيئة جسمية مثل حمامة واستقر عليه (مت٣ : ١٦) «عند عماده فى نهر الأردن، وقد قال هو بنفسه. روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأ بشر المساكين ...» (لو١٦ : ١٩)..

+ يأخذ الكاهن قليلاً من الماء ويمسح به الحمل المختار من كل ناحية إشارة إلى عماد الرب يسوع بالتغطيس وغمره بالماء غمراً كاملاً فى نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان.

+ يذكر الكاهن من يريد أن يذكرهم، طالباً شفاء للمرضى. حفظاً للمسافرين. نجاحاً للدارسين. راحة للمتضايقين. نياحاً للراقدين ... إلخ.

+ ثم يذكر مقدمات الثلاث أواشى : الكنيسة والآباء والإجتماعات .

ملاحظة :

+ أخذ السيد المسيح خبزاً وباركه وحوله إلى جسده الطاهر لأنه قال «أنا هو خبز الحياة» (يو٦ : ٣٥) وأخذ خمراً ومزجه بالماء وباركه وحوله إلى دمه الكريم وقال «أنا هو الكرمة الحقيقية» (يو١٥ : ١) . والخمر هو نتاج الكرمة (مت٢٦ : ٢٩) ومزجه بالماء لأنه خرج من جنبه دم وماء وهو معلق على الصليب (يو١٩ : ٣٤) استعمل الرب الخبز والخمر اتماماً للنبوة «دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمراً» (تث ٣٢ : ١٤) والكنيسة تفعل مثله .

٣ـ دورة الحمل

يلف الكاهن الحمل باللفافة وهى تشير إلى الأكفان ، و يضع الصليب فوقها مائلاً قليلاً وهذا يشير إلى المسيح وهو حامل صليبه على كتفه فى طريق الجلجثة .

+ يرفع الكاهن الحمل على رأسه بكلتا يديه ، و يرفع الشماس القارورة على رأسه بيده اليمنى و يرفع يده اليسرى ممسكة بشمعة إشارة إلى أن المسيح هو نور العالم الذى يضىء للجلوس فى الظلمة وظلال الموت .

+ يقف الكاهن على باب الهيكل متجهاً إلى الغرب وخلفه الشماس ، ثم يقول الكاهن : مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس . سلاماً و بنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية . أذكر يارب الذين قدموا لك هذه القرابين والذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم . اعطهم كلهم الأجر السمائى .

+ فى هذه الصلاة القوية العميقة يذكر الكاهن محاور(حقائق) الإيمان المسيحى وهى : الآب والابن والروح القدس ، والكنيسة الواحدة ، والحياة الأخرى فى السماء حيث يكافىء الله كل واحد بحسب أعماله و يعطيه أجره بحسب تعبه و بذله وعطائه .

+ بعد ذلك يدور الكاهن دورة واحدة حول المذبح رافعاً الحمل على رأسه تكريماً

وتبجيلاً والشماس خلفه يقول «صلوا من أجل هذه القرابين المقدسة الكريمة وتقدماتنا والذين قدموها.

+ رفع الحمل يشير إلى ما عمله سمعان الكاهن إذ حمل الرب يسوع على يديه عندما قدمه أبواه إلى الهيكل ليصنعا عنه كما يجب فى الناموس (لو٢: ٢٥- ٣٢).

+ أما دورة الحمل مرة واحدة حول المذبح فتشير إلى مجىء المسيح مرة واحدة إلى العالم وتقديم ذاته ذبيحة عن العالم كله.

+ كذلك تشير دورة الكاهن حول المذبح رافعاً الحمل وفوقه الصليب مائلاً قليلاً إلى مسيرة المسيح إلى جبل الجلجثة وهو حامل صليبه على كتفه مائلاً إلى الخلف.

بعد انتهاء مرد الشماس يأتى دور مرد الشعب:

١ - فى كل أيام الافطار والأعياد السيدية والخماسين وأيام السبوت والآحاد ماعدا الصوم الكبير يقال لحن «الليلويا فاى بى بى) هذا هو اليوم الذى صنعه الرب (مز١١٧: ٢٤).

٢ - فى أيام الأصوام وسبوت وآحاد الصوم الكبير يقال لحن «الليلويا جى إفميفىء» إن فكر الإنسان يعترف لك يارب (مز٧٥: ١٠).

٣ - أيام الصوم الكبير بخلاف السبوت والآحاد كذلك أيام صوم يونان يقال «الليلويا إإى إيخون...» أدخل إلى مذبح الله (مز٤٢: ٤، ١٣١: ١).

٤- الرشومات

+ يضع الكاهن الحمل على يده اليسرى و يقرب الشماس القارورة إلى الحمل بيده اليمنى فيصلى الكاهن الرشومات الثلاثة مع رشم الحمل والقارورة بالصليب ثلاث رشومات.

+ أثناء ذلك يكون الشماس ماسكاً شمعة وكذلك بقية الشمامسة داخل الهيكل.

+ يرد الشماس مرد «ها باركوا الرب يا جميع الأمم ولتباركه كافة الشعوب...»

و يرد الشعب مرد «ذكصابترى ... المجد للآب ...»

+ يضع الكاهن القربانة فى الصينية و يصب الخمر فى الكأس و يضع فى القارورة كمية من الماء لا تزيد عن ثلث كمية الخمر ولا تقل على العشر ثم يرج القارورة و يصبها فى الكأس .

+ وضع الماء على الخمر داخل الكأس إشارة إلى جنب المسيح الذى جرى منه دم وماء عندما طعنه الجندى بالحربة بعد موته على الصليب .

+ نضع الماء على الخمر فى الكأس على مثال ما فعل السيد المسيح عندما أسس سر الأفخارستيا ، وإن كان الانجيل لم يذكر ذلك لكن أخذته الكنيسة من التقليد فنقول فى القداس الباسيلى « وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء مزجها من خمر وماء ، وشكر . وباركها . وقدسها » ونفس النص موجود فى القداس الكيرلسى ، أما فى القداس الغريغورى فنقول « هكذا أيضاً بعد أن أكلوا أخذت كأساً ومزجتها من ثمرة الكرمة والماء : وشكرت . وباركتها . وقدستها .

+ يوضع الماء على الخمر بنسبة الثلث فقط حتى لا يفقد الخمر لونه الأحمر القانى على مثال دم المسيح .

+ الخبز والخمر (مضافاً إليه الماء) هما مادة سر الافخارستيا اللذان تقام عليهما الصلاة و يتم فيهما التحول ، وذلك لكى يعلن الله تقديسه للمادة من خلال طقس هذا السر العظيم «لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة (١تى. ٤ : ٤ ، ٥) .

+ وضع الحمل فى الصينية وسط اللفائف يشير إلى وضع الرب يسوع فى المذود وسط الأقمطة عند ولادته ، و يشير أيضاً إلى وضعه فى القبر وسط الأكفان عند موته . كما أن وضع الخمر والماء فى الكأس يشير إلى طعن المسيح فى جنبه على الصليب ونزول الماء والدم لذلك يقول الشماس أثناء ذلك مزمور البركة والتمجيد « ها باركوا الرب يا جميع الأمم ... » و يقول الشعب الزكصا أى التمجيد « المجد للآب والابن والروح القدس » معطين المجد لله ، وذلك كما يحدث فى اسبوع الآلام ونحن نتذكر آلام الرب نسبحه بالتسبحة الخالدة « لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين يا عمانوئيل إلهنا ... » . .

٥ـ صلاة الشكر

+ يمسك الكاهن الصليب و يرفع كلتا يديه و يصلى الشكر بعد قوله «اشليل. ايرينى باسى» مع رشم الشعب بالصليب.

+ صلاة الشكر هذه من أقوى الصلوات التى تعتز بها الكنيسة القبطية وتفتتح بها جميع صلواتها فى كل المناسبات، ويجب أن نتأمل كثيراً فى معانيها الروحانية العميقة أثناء تلاوتها.

٦ـ أوشية الغطاء أو أوشية التقدمة

+ بعد صلاة الشكر يتلو الكاهن أوشية التقدمة أو الغطاء سراً و يرشم الخبز والخمر ثلاث رشومات بالصليب قائلاً «باركهما. قدسهما. وحولهما ...»

+ يغطى الصينية باللفافة الخاصة بها، و يغطى الكأس باللفافة الخاصة به، ثم يغطى الكل بالأ بروسفارين، ثم يضع فوق الإبروسفارين لفافة مثلثة.

ملاحظات:

١ ـ تغطية الصينية والكأس بلفائف تشير إلى الأكفان التى وضعت على جسد المخلص عند دفنه.

٢ ـ تغطية الصينية والكأس بالابروسفارين وهو الستر الذى يوضع على كليهما يشير إلى وضع الحجر الكبير على باب قبر المخلص بعد دفنه.

٣ ـ وضع اللفافة المثلثة فوق الأ بروسفارين يشير إلى وضع الختم الذى ختموا به القبر خوفاً من قيامة المخلص من بين الأموات حسب وعده لتلاميذه (مت ١٦ : ٢١).

٤ ـ بعد ذلك يسجد الكاهن والشمامسة أمام المذبح و يدورون حول المذبح و ينزلون من الهيكل، وهذا يشير إلى انصراف الجموع من عند القبر بعد دفن المخلص وقفل القبر وختمه.

وبذلك ينتهى القسم الأول وهو تقدمة الحمل.

القسم الثانى
القداس التعليمى (قداس الموعوظين)
١ـ تحليل الخدام

+ يبدأ القداس التعليمى بتحليل الخدام، وذلك بأن يخضع الخدام برؤوسهم أمام الهيكل ويقف الكاهن وبيده الصليب ووجهه إلى الغرب ويصلى تحليل الخدام: عبيدك يارب خدام هذا اليوم...

+ لأنه يجب أن الذين يخدمون خدمة العبادة فى القداس الإلهى ويقرأون الرسائل والانجيل يتقبلون التحليل أولاً، ومن لم يحضر صلاة التحليل لا ينبغى أن يخدم ككاهن أو شماس فى قداس ذلك اليوم(٢).

٢ـ دورات البخور وقراءات الرسائل

+ يبدأ الكاهن برفع بخور البولس، فيضع فى المجمرة خمسة أيادى بخور، وهى تشير إلى رجال العهد القديم الذين قدموا لله تقدمات مقبولة:

١ـ هابيل تك ٤ : ٤.
٢ـ نوح تك ٨ : ٢٠.
٣ـ ملكيصادق تك ١٤ : ١٨.
٤ـ هارون لا ٩ : ١.
٥ـ زكريا لو١ : ٨-١٢.

+ الثلاث دورات ترمز للثالوث القدوس، والدوران حول جهات المذبح الأربع تشير للكرازة بالثالوث القدوس فى أربع جهات المسكونة.

+ ينزل الكاهن من الهيكل بقفاه بظهره وبرجله اليسرى ويعمل دورة كاملة أمام

(٢) أقوال الآباء فى شرح التسبحة والقداس اصدار كنيسة العذراء محرم بك اسكندرية ص ٣٢.

الهيكل ثم يعطى البخور للاناجيل ثم الكهنة الموجودين ثم يعمل دورة كاملة فى الكنيسة كلها و يعطى البخور والبركة للشعب .

+ البركة للشعب تكون بوضع اليد إن أمكن حسبما فعل مخلصنا الصالح «رفع يديه و باركهم» (لو٢٤ : ٥٠) يضع يديه عليهم و يصلى (مت ١٩ : ١٥) .

+ تكون دورة البولس فى الكنيسة من الشمال إلى اليمين إشارة إلى كوننا بالإيمان الذى كرز به بولس نقلنا من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢ : ٢) . ومن مكان الجداء المرفوضين فى الشمال إلى مكان الحملان المقبولين فى اليمين (مت ٢٥ : ٣٣) .

+ أثناء الدورة يصلى الشعب لحناً للعذراء مريم ثم يقولون الهيتينيات وهى طلبات رحمة ومغفرة الخطايا بشفاعة وصلوات القديسة مريم والرسل والشهداء والقديسين ثم يقرأ البولس قبطياً وعربياً ثم الكاثوليكون قبطياً وعربياً .

+ لا توجد دورة للكاثوليكون بل يكون الكاهن فى الهيكل إشارة إلى وجود الرسل فى أورشليم وعدم خروجهم للكرازة فى العالم فى الفترة بين صعود المخلص وحلول الروح القدس «أوصاهم ألا يبرحوا أورشليم بل ينتظروا موعد الآب (حلول الروح القدس)» (أع ١ : ٤) .

+ يعمل الكاهن دورة الأبركسيس، وهى أقصر من دورة البولس لأن بولس الرسول تعب أكثر من بقية الرسل وجال وخدم وكرز فى بلاد أكثر وفى محيط أوسع .

+ أثناء دورة الأبركسيس يتلى الأبركسيس قبطياً وعربياً .

+ بعد ذلك يقرأ الكاهن السنكسار، وهو يشمل سير الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين حتى ننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل بإيمانهم (عب ١٣) وأعمالهم .

+ سيامة الآباء البطاركة والأساقفة تكون بعد تلاوة الأبركسيس والسنكسار لأنها استكمال واستمرار لحلقات عمل الآباء الرسل وتاريخ الكنيسة .

٣ـ الثلاث تقديسات

يقول التقليد أن يوسف الرامى ونيقوديموس وهما يكفنان جسد السيد المسيح و يضعان عليه الأطياب والحنوط بعد انزاله من على الصليب سمعا الملائكة تنشد قائلة « قدوس الله قدوس الحى قدوس الذى لا يموت » .

فوضعت الكنيسة هذه الترنيمة الملائكية فى جميع صلواتها وكررتها ثلاث مرات .

١ ـ تزيد عليها فى المرة الأولى : يا من ولد من العذراء ارحمنا .

٢ ـ تزيد عليها فى المرة الثانية : يا من صلب عنا ارحمنا .

٣ ـ تزيد عليها فى المرة الثالثة : يا من قام من بين الأموات وصعد إلى السماوات ارحمنا .

وتتلى الثلاث تقديسات قبل تلاوة الانجيل للدلالة على أن البشارة بالانجيل مبنية على هذا الإيمان الذى أساسه تجسد الرب يسوع المسيح وصلبه وقيامته . ثم تضاف إليها عبارة « المجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور » اعترافاً بوحدانية الله المثلث الأقانيم ولتقديم التمجيد اللائق والدائم لعزته الإلهية .

٤ـ إنجيل القداس

+ يصلى الكاهن أوشية الانجيل و يطلب من الله أن يجعلنا مستحقين أن نسمع الانجيل المقدس كلمة الله ونعمل بكل ما نسمعه حتى ننال الطوبى والسعادة « طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال هذه النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب » (رؤ١ : ٣) . لأن كلمة الله روح وحياة ومصباح ونور وغذاء وشفاء لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا .

ثم يطلب الكاهن إلى الله أن يقبل صلواته من أجل الذين طلبوا إليه أن يذكرهم فى صلواته كما يطلب نياحاً للراقدين وشفاء للمرضى .

+ بعد ذلك يطوف الكاهن حول المذبح مرة واحدة بالبخور وهو ماسك مع الشماس البشارة والصليب ، وهو يتلو صلاة سمعان الكاهن الشيخ « الآن ياسيد تطلق عبدك

بسلام ... » وهو هنا حينما يمسك البشارة يتشبه بسمعان الكاهن الشيخ لذى حمل المسيح طفلاً على ذراعيه ، كما أن هذه الدورة بالبشارة والصليب تشير إلى كرازة الرسل بالانجيل فى العالم كله كما تشير إلى أن خلاص العالم قد تم بالصليب .

+ أثناء الدورة يُقرأ المزمور قبطياً بالطريقة .

+ بعد ذلك يقرأ الكاهن الانجيل قبطياً ثم يتقدم شماس الهيكل ليقرأه عربياً بعد تلاوة المقدمة المعروفة .

+ أثناء قراءة الانجيل يصلى الكاهن سر الانجيل وهو ممسك بالشورية و يبخر أمام الانجيل حتى يعطى الله حكمة وفهماً للسامعين فيستفيدون من سماع الانجيل المقدس .

+ أما قول الشماس « قفوا بمخافة من الله وانصتوا لسماع الانجيل المقدس » فهو تنبيه للسامعين بأن يقفوا وقفة خاشعة ، ولا يمشى ولا يتحرك أحد فى الكنيسة فى هذه الأثناء ، وإذا كان أحد داخلاً إلى الكنيسة فى هذ اللحظات فعليه أن يقف عند باب الكنيسة ولا يدخل حتى تنتهى قراءة الانجيل وذلك حتى يسمع هو الانجيل وحتى لا ينشغل الآخرون عن سماعه أثناء دخوله الكنيسة وإحداثه أى صوت .

+ بعد أن ينتهى الكاهن من تلاوة سر الانجيل ، يصلى الكاهن الخديم بالذات سر الحجاب وهو واقف أمام حجاب الهيكل وهو خاضع برأسه إلى الشرق وفيه يطلب من الله أن يجعله وشعبه مستحقين للتناول من الأسرار المقدسة وأن تكون لهم سبب نعمة وخلاص لا سبب دينونة وهلاك .

+ بعد الإنتهاء من تلاوة الانجيل عربياً يعتلى أحد رجال الأكليروس المنبر و يلقى عظة القداس ، وهى غالباً ما تكون مرتبة على انجيل القداس وما سبقه من قراءات .

٥ـ الثلاث أواشى الكبار

بعد انتهاء العظة يعمل الكاهن مطانية أمام الهيكل ثم يصافح أخوته الكهنة طالباً الحل ثم يصعد إلى المذبح و يقبله و يبدأ فى صلاة الثلاث أواشى الكبار ـ السلام . الآباء . الاجتماعات ـ وهذه الأواشى الثلاث غاية فى الأهمية والعمق واللجاجة .

+ ففى أوشية السلام يطلب الكاهن من الله عن سلام الكنيسة فى كل العالم كما يطلب من أجل سلام البلاد وأن يحفظ رئيسها وكل المسئولين فيها، وأن يعضدهم و يساعدهم بقوته، لأنه بسلام البلاد يكون للكنيسة وأبنائها سلام جزيل «من أجل أخوتى واصحابى لأقولن سلام لك. من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً» (مز ١٢٢: ٨، ٩).

+ فى أوشية الآباء يطلب إلى الله أن يحفظ للكنيسة راعيها الأكبر قداسة البابا المكرم مفصلاً كلمة الحق باستقامة راعياً شعبه بطهارة وبر، وكذلك يحفظ الآباء الأساقفة وكل الإكليروس و ينعم عليهم بالسلام والعافية وأن يقبل صلواتهم من أجل شعبهم ورعيتهم.

+ فى أوشية الاجتماعات يطلب الكاهن من الله أن يبارك الاجتماعات الروحية ويجعلها تنعقد بلا موانع ولا مضايقات، وأن يجعل بيوت شعبه بيوت صلاة وطهارة وبالتالى تكون بيوت بركة ونعمة وتربة صالحة لنمو النشىء نمواً روحياً سليماً، كما يطلب من الله أن يسحق الشيطان وكل قواته، وأن يبطل حسد الأعداء وشرورهم ومكائدهم التى يدبرونها ضد الكنيسة كما أبطل قديماً مشورة أخيتوفل الضارة لمختاره داوذ (٢صم ١٥، ١٦، ١٧) وأن يبارك الله فى شعبه لكى يصنع الكل ارادته الإلهية الصالحة الطوباوية والضرورية جداً لخلاص نفوسهم.

+ بانتهاء الثلاث أواشى الكبار ينتهى القداس التعليمى أو قداس الموعوظين وكانت العادة قديماً حينما كان فى الكنيسة موعوظون (٣) كانوا يخرجون من الكنيسة بعد الأواشى الكبار. و يبقى المؤمنون وحدهم فى الكنيسة لحضور قداس المؤمنين (قداس الذبيحة) والتناول من الأسرار المقدسة.

---

(٣) الموعوظون هم الذين كانوا يرغبون فى الدخول إلى المسيحية من الوثنيين وغيرهم، وكانت الكنيسة تعطيهم فرصة لحضور الكنيسة و يقفون فى مؤخرة الكنيسة لحضور القداس التعليمى المسمى بإسمهم «قداس الموعوظين» و بعد كمال اعدادهم ينالون سر المعمودية المقدسة و ينضمون إلى المؤمنين.

ملاحظة :

نلاحظ أنه بعد انتهاء الأواشى الكبار يقف الشماس على باب الهيكل ووجهه إلى الغرب و يقول بالقبطية «إن صوفيا ثيؤ إبروسخومين..» ومعناه انصتوا بحكمة الله يارب ارحم. يارب ارحم. بالحقيقة.

وسبب هذا النداء أنه كانت العادة قديماً أنه بعد انتهاء الأواشى الكبار يخرج الموعوظون من الكنيسة فيسبب خروجهم بعض الحركة والصخب، وبعد خروجهم يخاطب الشماس المؤمنين الباقين فى الكنيسة بقوله «انصتوا بحكمة الله..» وفيها يطلب الشماس إلى المؤمنين أن يعودوا إلى الهدوء والصمت والخشوع اللائق بجو الصلاة.

وهذا هو غرض الكنيسة من بقاء هذا النداء حتى بعد أن انتهى عصر الموعوظين أن يلازم المصلون هدوءهم وانصاتهم للصلوات وخشوعهم اللائق ببيت الله.

القسم الثالث
قداس المؤمنين - أو قداس الذبيحة

تمهيد :

بعد انتهاء قداس الموعوظين لا ينتقل المؤمنون إلى قداس الذبيحة مباشرة، بل يوجد تمهيد ومقدمة لقداس الذبيحة، وهذا التمهيد هو قانون الإيمان وصلاة الصلح..

أولاً : قانون الإيمان

يردده بفم واحد وبصوت مرتفع كل المؤمنين الحاضرين فى الكنيسة، فيكون له قوته وتأثيره.

وتلاوة قانون الإيمان قبل الدخول إلى قداس الذبيحة لها أهمية خاصة ذلك لأن الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة يجب أن يسبقه إعلان للإيمان الصحيح الذى نعتنقه، وحينما نعلن إيماننا الأرثوذكسى أمام الله نكون مرضيين عنده «لأنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عب ١١ : ٦) ويتقبل صلواتنا «لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله (ليصلى) يؤمن أنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه» (عب ١١ : ٦).

+ غسل اليدين :

أثناء تلاوة قانون الإيمان يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات كما فعل عند اختيار الحمل ويصلى نفس الصلوات.

ثم يقف على باب الهيكل وينفض يديه نحو الشعب ويقول «أنا برىء من ذم من يتناول من الأسرار المقدسة بدون استحقاق دون علمى». وبذلك يتبرأ من ذنب من يتجرأ على التناول من الأسرار المقدسة بدون توبة واستعداد واستحقاق، كذلك يتبرأ من الذى يتلو قانون الإيمان بشفتيه فقط دون إيمان حقيقى بالله الآب ضابط الكل والإبن الفادى المخلص والروح القدس الذى يقدس الكل عن طريق الأسرار، ثم

الإيمان الحقيقى بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتى .

+ بعد ذلك يمسح الكاهن يديه فى فوطة نظيفة .

ثانياً : صلاة الصلح

يوجد للقداس الباسيلى صلاتان للصلح ، الأولى من وضع القديس باسيليوس نفسه والثانية من وضع القديس يوحنا المثلث الطوبى (يوحنا ذهبى الفم غالباً) .

+ الجزء الأول من صلاة الصلح للقديس باسيليوس عبارة عن تأملات فى خلقة الإنسان على غير فساد ثم سقوطه بجمد ابليس وغوايته ، الأمر الذى جر عليه الموت وأهواله ، ولكن الله خلصنا بالظهور المحيى الذى لربنا يسوع المسيح الذى صالحنا مع الآب يوم صليبه .

+ نتلو الصلح قبل بدء القداس كعلامة لصلحنا مع الله حتى يمكننا التكلم معه والتقدم للتناول من أسراره المحيية .

+ فى الجزء الثانى من صلاة الصلح يمسك الكاهن اللفافة التى على الإبروسفارين ويرفعها بين يديه إلى أمام وجهه ، بينما يقف الشماس مقابلة شرقى المذبح رافعاً الصليب بيده اليمنى .

+ يطلب الكاهن من الله أن يملأ قلبه وقلوب شعبه بالسلام الإلهى الكامل وأن يطهرهم من كل دنس ومن كل غش ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ... إلخ . حتى يستطيع هو وشعبه أن يتكلموا معه بدالة ويتستحقون التناول من الأسرار المقدسة بغير وقوع فى دينونة .

+ عند انتهاء صلاة الصلح يُنزل الكاهن اللفافة التى بين يديه ويضعها على المذبح ناحية اليسار ، ويظل الشماس رافعاً الصليب وهو يقول « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة ... » .

هذه اللفافة هنا تمثل حائط السياج المتوسط أى العداوة الذى نقضه المسيح بالصليب ، وصالحنا مع الله ، لذلك نرى فى نهاية صلاة الصلح يسقط هذا السياج

بانزال اللفافة ، فيظهر الصليب عالياً فى يد الشماس وهو يقول « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » لأنه بسقوط سياج العداوة ارتفع الصليب صار الصلح بين الإنسان والله وابن الانسان وأخيه الإنسان فتحدث قبلة المحبة وندخل إلى امجاد القداس والرسول بولس يقول فى ذلك « لأنه هو سلامنا الذى جعل الأثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده (المصلوب على الصليب) ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الأثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً و يصالح الأثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به ، فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأن به لنا كلينا (اليهود والأمم) قدوماً فى روح واحد إلى الآب . فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين أهل بيت الله (أف ٢ : ١٤ - ١٩) .

+ أما صلاة الصلح للقديس يوحنا المثلث الطوبى فيتحدث فيها عن هبات الله التى هى أعلى من كل فكر وكل نطق ، و يسأله أن يطهر عقله و يرسل له ولشعبه نعمة الروح القدس حتى يتناول من الأسرار الرهيبة بدون وقوع فى دينونة .

القبلة المقدسة

+ بعد انتهاء صلاة الصلح يقول الشماس « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » فيقبل الكهنة بعضهم بعضاً وكذلك الشمامسة ، وأيضاً الشعب فيقبل الرجال الرجال ، والسيدات يقبلن السيدات .

وهذه القبلة الطاهرة هى علامة الصلح والسلام والمحبة الكاملة بين شعب المسيح ، وهذه المحبة هى التى تؤهلنا للدخول إلى قداس الذبيحة المعلن فيه قمة المحبة الإلهية للبشرية كلها « وهكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو٣ : ١٦) .

+ وبعد نداء الشماس قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة ، وأثناء التقبيل يصرخ الخورس والشعب بلحن « افرحى يا مريم » .

+ ولتلاوة هذا الاسبسمس فى هذا الوقت بالذات معناه الجميل ، فالعذراء مريم أم الكنيسة كلها تفرح حينما ترى أبناءها يقبلون بعضهم بعضاً بقبلة المحبة المقدسة ،

وليس بينهم أدنى خصام أو غضب أو حقد .

+ وهذه القبلة تثبت الصلح والسلام الذى بين المؤمنين بعضهم مع بعض إلى جانب صلحهم مع الله ، وبذلك يؤهلون للدخول إلى القداس والتناول من الأسرار المقدسة .

+ بعد انتهاء الاسبسمس يقول الشماس «يارب ارحم . يارب ارحم . نعم يارب الذى هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا . تقدموا على الرسم . قفوا برعدة وإلى الشرق انظروا ، ننصت» .

+ وصحة عبارة «تقدموا على الرسم» هى «قدموا على الرسم» بمعنى قدموا عطاياكم برسم (على ذمة) القرابين المقدسة واحتياجات المذبح والكنيسة . أو فلتكن صلواتكم وتقدماتكم بهذا الشكل أى تقدمة الخبز والخمر كما فعل ملكيصادق والسيد المسيح والآباء الرسل .

+ بعد انتهاء نداء الشماس يهتف الشعب قائلاً «بشفاعة والدة الإله القديسة مريم يارب انعم لنا بمغفرة خطايانا . نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك اتيت وخلصتنا . رحمة السلام ذبيحة التسبيح . .

+ بعد أن أعلن الشعب إيمانه القويم بتلاوة قانون الإيمان وأعلن تصالحه ومحبته بصلاة الصلح والقبلة المقدسة أصبح مستأهلاً لشفاعة أمه العذراء مريم ، واصبح مستحقاً لعبادة الثالوث القدوس والسجود له ، خصوصاً وأن الله قد أظهر محبته للبشر ورحمته وسلامه (رحمة السلام) بالصليب . وفى ذلك يقول المرنم «إنى اسمع ما يتكلم به الرب الإله لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه الذين رجعوا إليه بكل قلوبهم ، لأن خلاصه قريب من جميع خائفيه . ليسكن المجد فى أرضنا . الرحمة والحق تلاقيا . البر والسلام تلائما (على الصليب)» (مز٨٥ : ٨- ١٠) .

وبناء على قول المزمور «ماذا ارد للرب من أجل كل حسناته لى . كأس الخلاص اتناول وباسم الرب ادعو (اصلى) أوفى نذورى للرب مقابل كل شعبه» (مز١١٦ : ١٢ - ١٥) . يقدم الشعب لله ذبيحة التسبيح أى ثمرة شفاه معترفة باسمه كتقدمة

شكر على محبته ورحمته وسلامه الذى أنعم به عليه .

+ إن كانت هناك سيامات فى درجة القسيسية أو الشماسية فتكون بعد صلاة الصلح وقبل رفع الأبروسفارين وبدء القداس ، حتى يتمكن المشرطن حديثاً من الاشتراك فى القداس من أوله .

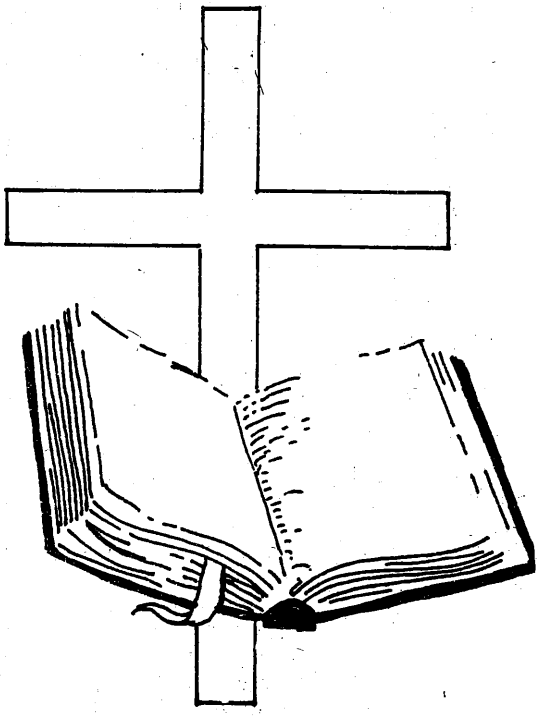

بدء قداس الذبيحة
حسب القداس الباسيلى

+ يرفع الكاهن الابروسفارين والشماس مقابله، والأ بروسفارين هو الستر الذى تغطى به الأسرار، وسمى «ابروسفارين» لأنه يرفع عند قول الشماس «ابروسفارين» أى «قدموا».

+ ورفع الأ بروسفارين يشير إلى دحرجة الحجر من على باب قبر المخلص، وصوت الجلاجل التى فيه يشير إلى الزلزلة التى حدثت أثناء نزول الملاك ودحرجة الحجر.

+ بعد رفع الأ بروسفارين يبدأ قداس المؤمنين أى أنه باعلان قيامة المخلص من بين الأموات يصير لنا حق الدخول إلى الأمجاد لأن القيامة هى سر المجد.

أقسام القداس الباسيلى (قداس الذبيحة)

ينقسم قداس الذبيحة الباسيلى إلى عدة أقسام هى :

١ - رشومات أو كيريوس، وصلوات تمجيد وتسبيح (ثلاث قطع).

٢ - رشومات أجيوس، ثم عرض لخلقة الإنسان وسقوطه ومجىء السيد المسيح لخلاص الإنسان بالصلب والقيامة ثم الصعود وانتظار مجيئه الثانى (ثلاث قطع).

٣ - صلوات التقديس وحلول الروح القدس، وهو أهم جزء فى القداس.

٤ - الأ واشى وعددها سبعة.

٥ - مجمع القديسين.

٦ - الترحيم.

٧ - مقدمة القسمة.

٨ - القسمة والتحاليل.

٩ـ الرشومات الأخيرة .

١٠ـ الاعتراف ثم صلوات خضوع وتوبة .

١١ـ التوزيع (التناول) .

١٢ـ الصلوات الأخيرة والتسريح .

وفى الصفحات التالية نتناول كل قسم بالشرح والتحليل .

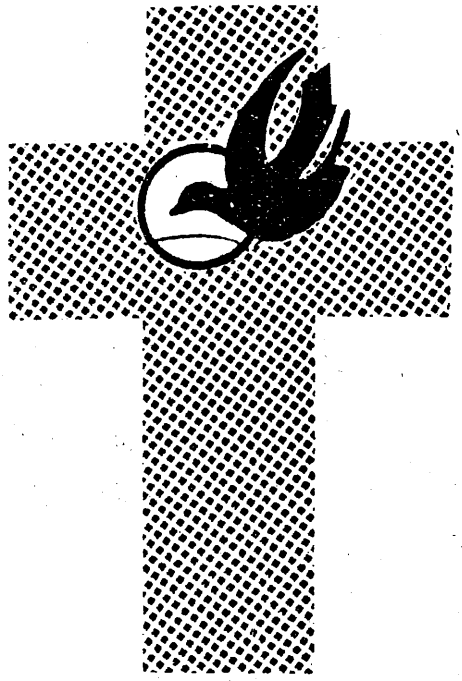

١ - رشومات أو كيريوس وصلوات تمجيد وتسبيح

يمسك الكاهن اللفافة التى كانت على الابروسفارين بيده اليسرى . ويمسك اللفافة التى فوق الصينية بيده اليمنى ومعها الصليب و يبدأ **الرشومات** كالآتى :

١ - يرشم على الشعب و يقول : **الرب مع جميعكم .**

(أى الرب فى وسطكم ، وهنا يعلن الكاهن حضور الرب فى وسط شعبه حسب وعده : حيثما اجتمع أثنان أو ثلاثة باسمى فهناك **أكون فى وسطهم** (مت ١٨ : ٢٠) و يرد عليه الشعب **ومع روحك أيضاً...**

٢ - يرشم على الخدام عن يمين المذبح و يقول : **ارفعوا قلوبكم ،.**

(وهنا يطلب من الشعب أن يرتفعوا إلى الله كما تنازل هو إليهم ، حتى يقتربوا منه و يتحدوا به) .

فيجاوبه الشعب : **هى عند الرب .**

ملاحظة : يرشم الكاهن الرشم الثانى على الخدام عن يمينه ومعنى ذلك أن يكون الخدام (الشمامسة) واقفين على يمين المذبح وليس عن يساره ، وعلى نفس النظام نجد كرسى البابا البطريرك أو الأسقف داخل الهيكل عن يمين المذبح وبالتالى عن يمين المسيح الذى فوق المذبح ، لأن الذين عن يمين المسيح هم المقبولون الذين يقول لهم «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم (.مت ٢٥ : ٣١- ٤٦) . وقد رأى يوحنا الرائى خدام الكنائس مثل كواكب فى يد المسيح اليمنى «ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب» (رؤ١ : ١٦) .

أما كرسى البابا البطريرك أو الأسقف الموجود خارج الهيكل فيكون من الناحية البحرية من الكنيسة حتى إذا جلس عليه البابا أو الأسقف راعى الايبارشية يكون شعبه كله عن يمينه ، يرعاهم و يشبعهم من كلمة الحياة ويحرسهم من الشيطان ، كما قال المسيح الراعى الصالح «خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأ بد ولا يخطفها أحد من يدى» (يو١٠ : ٢٧ ، ٢٨) .

٣ ـ يرشم الكاهن ذاته و يقول : **فلنشكر الرب .**

ويجاوبه الشعب : **مستحق وعادل .**

أى أن الله مستحق ومستوجب كل شكر وكل حمد وكل تسبيح .

ملاحظات :

١ ـ حينما يرفع الكاهن اللفافة الموضوعة على الصينية بينما الكأس مغطاه فيها معنى ظهور المسيح لمريم المجدلية بعد القيامة ، ولكن ظلت شخصيته مستورة عنها فلم تعرفه .

+ يصلى الكاهن بعد ذلك ثلاث قطع كلها عبارة عن تسبيح وتمجيد لله العظيم المستحق كل تمجيد وتسبيح :

١ ـ فى القطعة الأولى يسبح الله الكائن قبل الدهور المالك إلى الأبد الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، المسجود له من جميع القوات السمائية المقدسة

٢ ـ وفى القطعة الثانية يسبح الله الذى تسبحه الملائكة ورؤساء الملائكة والرؤساء والسلاطين والعروش والربوبيات والقوات .

وهذه كلها طغمات سمائية ملائكية لا تفتر عن تسبيح الله .

٣ ـ فى القطعة الثالثة يسبح الله الذى يقف حوله الشاروبيم والسيرافيم و يسبحون على الدوام بغير فتور ولا تعب .

+ فى هاتين القطعتين يذكر الكاهن تسع طغمات سمائية تسبح الله أما الطغمة العاشرة فهى أرواح القديسين المنتقلين ، **فيكون** العدد عشر طغمات والعشرة عدد كامل . ، يقدمون لله تسبيحاً كاملاً مقبولاً أمام عرشه الإلهى العظيم المهوب .

٢ ـ رشومات آجيوس، ثم عرض لخلقة الإنسان وسقوطه بالعصيان ومخالفة الوصية، ثم مجيء السيد لخلاصه بالصليب والقيامة، ثم صعوده إلى السماء وانتظار مجيئه الثانى المملوء مجداً.

يقوم الكاهن بحركة تغيير فى اللفائف التى على يديه ويمسك الصليب بيده اليمنى و يعمل الثلاث رشومات : الأ ولى على ذاته وهو يقول أجيوس (قدوس)، والثانى على الخدام عن يمينه وهو يقول أجيوس (قدوس)، والثالث على الشعب غرباً وهو يقول أجيوس (قدوس)، بعد ذلك يصلى ثلاث قطع :

١ ـ فى القطعة الأ ولى يسبح الله الذى خلقنا ووضعنا فى فردوس النعيم ولما سقطنا بالعصيان طردنا من الفردوس، ولكن الله لم يتركنا فى هذه الحالة البائسة بل تعهدنا بالأنبياء الواحد تلو الآخر، وفى ملء الزمان جاء هو بنفسه ليخلصنا «لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى» (غل ٤ : ٤ ـ ٦).

+ و يقول المصلى فى هذا المعنى «الذى جبلنا وخلقنا ووضعنا فى فردوس النعيم وعندما خالفنا وصيتك بغواية الحية سقطنا من الحياة الأ بدية ونفينا من فردوس النعيم» نحن نعرف أن الله «غرس جنة عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذى جبله» (تك ٢ : ٨) وهذه كانت جنة أرضية أو فردوساً على الأ رض، وهى بخلاف فردوس النعيم السمائى مكان انتظار الأ رواح البارة، وسميت جنة عدن الأ رضية فردوس النعيم لأن آدم وحواء كانا يتمتعان فيها بالوجود مع الله الذى كان يعلمهما و يتعامل معهما كثيراً. وعندما صدقا كلام الحية وأكلا من الشجرة المنهى عنها «قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده و يأخذ من شجرة الحياة أيضاً و يأكل ويحيا إلى الأ بد (وهو فى حالة الخطية) فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأ رض التى أخذ منها، فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن» (تك ٢ : ٢٢ ـ ٢٤) وهكذا طرد الإنسان من لدن الله والوجود الدائم فى حضرته وتحت رعايته والتنعم بالحياة معه فى الجنة إلى الأ رض التى تنبت شوكاً وحسكاً، وقد قيل أيضاً «فخرج قايين من لدن الرب (بقصد الحديث معه) وسكن فى أرض نود

(الهروب والاضطراب) شرقى عدن (تك ٤ : ١٦)، وقد تكررت عبارة «فردوس النعيم» على جنة عدن فى صلاة الصلح الغريغورى أيضاً.

٢ ـ وفى القطعة الثانية يسبح الله الذى علمنا وسلمنا وسائط الخلاص وصيرنا أطهاراً بروحه القدوس بالمعمودية وبقية الأسرار.

وأخيراً بذل ذاته عنا على الصليب وفدانا بدمه الطاهر المسفوك على عود الصليب لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢)، ومن بعد موته على الصليب نزلت روحه متحدة بلاهوته إلى الجحيم ليس لتستقر فيه كما كان يحدث مع البشر، ولكن لكى تخرج من هناك القديسين والأبرار الذين ماتوا على الرجاء مثل آدم وحواء وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ودواد وغيرهم من الأنبياء والقديسين وهذه العقيدة مأخوذة من الكتاب المقدس نفسه فيقول معلمنا بطرس الرسول «فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله مماتاً فى الجسد (مات بجسده) ولكن محيى فى الروح (لم تذق روحه الموت) الذى فيه أيضاً (أى روحه المتحدة بلاهوته) ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن (الجحيم) (١بط ٣ : ١٨، ١٩) [وكرز للأرواح التى فى السجن (الجحيم) أى بشرهم بالخلاص الذى أتمه على الصليب بسفك دمه وموته، وأخرجهم من الجحيم وأخذهم وصعد بهم إلى الفردوس السمائى الذى فتحه حديثاً.

ويقول معلمنا بولس الرسول «جرد الرياسات والسلاطين ظافراً بهم فيه (فى انصليب أو بالصليب) (كو٢ : ١٥) ومعنى ذلك أن الرب يسوع المسيح حينما صلب على الصليب قيد الشيطان وجرده من سلطانه وقوته وسطوته ونزل إلى الجحيم بروحه المتحدة بلاهوته وأخرج من هناك القديسين الذين ماتوا على الرجاء وكانوا مأسورين فى الجحيم، لأن الفردوس لم يكن مفتوحاً قبل الصليب، وبالصليب فتح الرب الفردوس وأدخل الذين أخرجهم من الجحيم، ويزيد معلمنا بولس ذلك أيضاحاً بقوله إذ صعد إلى العلا سبى سبياً وأعطى الناس عطايا، وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكى يملأ الكل (أف ٤ : ٨ـ ١٠).

وأقسام الأرض السفلى هى الجحيم الذى نزل إليه المسيح وسبى (أخرج) الذين ماتوا على الرجاء، وأعطاهم عطية الخلاص والفداء ومنحهم الفردوس بعد طول انتظار، وذلك حينما صعد بهم إلى السماوات وأدخلهم الفردوس، وقد أشار المرنم إلى ذلك بقوله مخاطباً الله فى المزمور «صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس» (مز٦٨: ١٨). كما قال الرب فى نبوة هوشع «من يد الهاوية أفديهم ومن الموت اخلصهم أين قوتك يا موت أين غلبتك يا هاوية» (هو١٣: ١٤)(١).

٣ - فى القطعة الثالثة يسبح الله الذى بعدما أتم الفداء للراقدين والأحياء قام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وبعد أربعين يوماً من قيامته صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وسيأتى فى اليوم الأخير فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه لكى يدين المسكونة كلها بالعدل حسب قول الرسول بولس «لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة كلها بالعدل» (أع١٧: ٣١) ويعطى كل واحد وواحد كحسب أعماله «لأنه لابد أننا جميعاً نظهر (نعرى أن ننكشف) أمام كرسى المسيح لينال كل واحد استحقاق ما عمله حينما كان فى الجسد خيراً كان أم شراً» (٢كو٥: ١٠).

+ وهنا يصرخ الشعب مسترحماً الله قائلاً «**كرحمتك يارب وليس كخطايانا**).

٣- صلوات التقديس وحلول الروح القدس وهو أهم قسم فى القداس

يبخر الكاهن يديه إستعداداً لمسك القربانة والكأس ثم يأخذ القربانة بيده اليمنى ويضعها على راحة يده اليسرى ويرشمها ثلاث مرات وهو يقول:

وشكر. وباركه. وقدسه.

+ يقسم القربانة ثلث وثلثين بدون فصل وينفخ فيها وهو يقول «وقسمه».

+ يرشم الكأس ثلاث مرات باصبعه وهو يقول:

وشكر. وباركها. وقدسها.

(١) انظروا أيضاً نبوة زكريا ٩: ١١، اشعياء ٤٢: ٧، اش ٦١: ١.

+ ثم ينفخ فى الكأس نفخة الروح القدس وهو يقول :

وذاق ...

بعد ذلك يردد نفس كلمات الرب يسوع بنصها :

« لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتبشرون من هذه الكأس بتشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكرونى إلى أن أجىء » .

+ يستعرض الكاهن حياة الرب يسوع المسيح ، آلامه ، وقيامته ، وصعوده ، ومجيئه الثانى للدينونة العامة ، فى قطعة « ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدسة ... »

+ هنا يصرخ الشماس منذراً الشعب بالسجود بمخافة وخشوع أمام الله لأنها لحظة حلول الروح القدس لتقديس الأسرار قائلاً « اسجدوا لله بخوف ورعدة » .

+ يسجد الكاهن و يصلى سراً صلاة استدعاء الروح القدس ، وهو باسط يديه على المذبح .

+ يقوم و يرشم القربانة ثلاث رشومات بسرعة وهو يقول « وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له » .

+ يسجد ثانية و يصلى « ربنا وإلهنا ومخلصنا ... »

+ ثم يقوم و يرشم الكأس ثلاث رشومات بسرعة وهو يقول : « هذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له » .

+ يسجد مرة ثالثة و يقول سراً : « ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح » ثم يقوم و يقول جهراً : « يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه » .

فيقوم الشعب من السجود و يردد « كيرياليصون ثلاث مرات » .

+ وبذلك يتم تحول الخبز إلى جسد المسيح والمزيج إلى دم المسيح ، الذى يعطى لغفران الخطايا .

وبذلك ينتهى القسم الخاص بالتقديس وهو كما قلنا سابقاً أهم قسم فى القداس

الإلهى كله .

+ ملاحظات :

١ ـ يسجد الكاهن ثلاث مرات أمام مذبح الرب تعبداً وخشوعاً للثالوث القدوس .

٢ ـ أما رشم الخبز والكأس ثلاث رشومات فللدلالة على أن الروح القدس يحل عليهما بمسرة الثالوث القدوس فيحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه المحيى .

٣ ـ اعتاد بعض المصلين الجلوس بعد حلول الروح القدس واتمام التحول ، وهذا خطأ كبير إذ على العكس يجدر بنا بمجرد حلول الروح القدس وتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح أن نقف بكل احترام وخشوع خصوصاً أننا لم نسمع أى نداء من الشماس يأمرنا بالجلوس منذ أن قال : « أيها الجلوس قفوا ... وإلى الشرق انظروا » وهكذا يجب أن نظل على هذا الحال طيلة القداس واقفين بخشوع وناظرين إلى الشرق حيث المذبح وعليه الأسرار الرهيبة .

٤ ـ الأواشى السبع

يصلى الكاهن السبع أواشى الآتية :

١ ـ أوشية السلام :

و يطلب فيها من أجل سلام الكنيسة المقدسة وحفظها من كل شر، تلك الكنيسة التى اقتناها الرب بدمه الغالى الثمين الذى سفكه على الصليب .

٢ ـ أوشية الآباء :

يطلب إلى الله من أجل البابا البطريرك ، وأسقف الإيبارشية لكى يعطيهما الرب نعمة وحكمة وقوة فى تدبير أمور الكنيسة وحفظ الإيمان ورعاية شعب الله بالبر والاستقامة .

٣ ـ أوشية القسوس :

يطلب من أجل الكهنة والشمامسة الذين يساعدون الأسقف فى تفصيل كلمة الحق

باستقامة وفى رعاية الشعب وافتقادهم، كما يطلب فى نفس الأوشية عن الخدام والذين فى البتولية ومن أجل طهارة الشعب وقداسته.

٤ـ أوشية الرحمة:

وهى عبارة «**اذكر يارب أن ترحمنا كلنا معاً**» يطلب فيها عن شعبه وعن نفسه لكى يرحمهم الله كعظيم رحمته لأن: «عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير» (مز١٣: ٧).

وهنا يصرخ الشعب بحرارة «**ارحمنا ياالله الآب ضابط الكل**».

٥ـ أوشية الموضع:

يطلب فيها من أجل سلام الموضع الذى يصلى فيه ومن أجل كل مدينة وموضع ودير فى العالم.

والطلبة من أجل سلام وطمأنينة المدينة أو القرية التى نعيش فيها أمر إلهى إذ يقول لشعبه فى القديم «اطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه **بسلامها يكون لكم سلام**» (أر٢٩: ٧)، وإذ يتمتع المكان الذى نعيش فيه بالسلام: «نقضى حياة هادئة مطمئنة بكل تقوى ووقار» (١تى٢: ٢).

وقد صلى المرنم من أجل مدينته قائلاً: «ليكن سلام فى أبراجك، راحة فى قصورك، من أجل إخوتى وأصحابى لأقولن سلام لك. من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً» (مز١٢٢: ٧- ٩).

٦ـ أوشية المياة:

من ١٢ بؤونة (عيد رئيس الملائكة ميخائيل) إلى ٩ بابه يطلب الكاهن من أجل مياه النهر وارتفاعها كمقدارها، لأن هذا الوقت كان هو زمن فيضان النيل جالباً معه الماء الوفير والطمى الغزير لتجديد قوة الأرض وخصوبتها، وحتى لا تصاب البلاد بالجفاف وما يسببه من مجاعات وكوارث.

أو الزروع :

من ١٠ بابه إلى ١٠ طوبه ، حيث يكون زمان زراعة المحاصيل الشتوية الرئيسية للبلاد كالقمح وخلافه .

أو الأهوية :

من ١١ طوبة (عيد الغطاس المجيد) إلى ١١ بؤونة حيث تكون الأهوية المعتدلة المناسبة واللازمة لنمو الزروع ونضج المحاصيل لكى تأتى بمحاصيل وفيرة ولا تصاب بالآفات الضارة .

بعد أية أوشية من هذه الأواشى يكمل الكاهن : **«اصعدها كمقدارها كنعمتك»** .

٧ـ أوشية القرابين :

يقصد بها التقدمات عموماً التى يأتى بها **المؤمنون** إلى الكنيسة لسد احتياجاتها ،وكان فى القديم يوجد بجوار الباب القبلى للكنيسة من الخارج حجرة تسمى حجرة الدياكونية (حجرة الخدمة) يجلس فيها شماس يتلقى عطايا المؤمنين التى يقدمونها له ثم يدخلون من الباب القبلى ، ويكتب الشماس اسماءهم فى ورقة ويقدمها للكاهن فيذكر الأسماء التى بها سراً بعد تلاوة أوشية القرابين طالباً من الله أن يعطيهم كلهم الأجر الصالح السمائى ، وبانتهاء أوشية القرابين تنتهى الأواشى السبع التى يتلوها الكاهن بعد صلوات التقديس .

وأثناء تلاوة هذه الأواشى يجب أن يكون الشعب واقفاً يصلى مردات « كيرياليصون . يارب ارحم . » بخشوع وتذلل أمام الحمل المذبوح على المذبح من أجل خلاصنا .

٥ـ مجمع القديسين

مجمع القديسين فى القداس الباسيلى أطول من المجمع فى القداس الغريغورى والقداس الكيرلسى .

+ يذكر رؤساء الآباء : مثل ابراهيم واسحق و يعقوب وغيرهم .

+ الأنبياء : مثل موسى وإيليا ودانيال وحزقيال وغيرهم .

+ الرسل : الأثنى عشر.

+ المبشرين : أمثال فيلبس المبشر (أع ١٨) ، و برنابا وسيلا .

+ الانجيليين : الأربعة متى ومرقس ولوقا و يوحنا .

+ والشهداء : أمثال مارجرجس ومارمينا والشهيدة دميانة وبربارة و يوليانة وغيرهم .

+ المعترفين : أمثال أنبا صموئيل المعترف وبفنوتيوس المعترف أسقف طيبة وغيرهما .

+ كل أرواح القديسين الذين تكملوا فى الإيمان وهم كثيرون جداً ، قديسيون وقديسات فى كل العصور والأزمنة والأماكن ، وصلوا إلى الكمال الإنجيلى وملء قامة المسيح ونالوا الحياة الأبدية .

+ ثم يذكر القديسة الطاهرة مريم والدة الإله بهالة عظيمة من الألقاب الكثيرة والاحترام العظيم اللائق بها .

+ يذكر المجمع الشهداء وهذه الكلمة تشمل الشهداء من الرجال والشهيدات من النساء ، ثم يذكر أرواح الصديقين وهى كلمة تشمل القديسين من الرجال والقديسات من النساء ، ثم يذكر بالأكثر القديسة الطاهرة مريم ، وهذا كله **يرد على تساؤل** البعض : لماذا ذكر المجمع كثيراً من اسماء الرجال ولم يذكر **أحداً من النساء** إلا العذراء مريم ؟ ونقول أيضاً أن مجمع القداس ركز على رجال الإكليروس من بطاركة وأساقفة ، وليس فيهم بالطبع نساء .

+ بعد ذلك يذكر المجمع حسبما جاء فى الخولاجى الكبير حوالى ٧٥ قديساً باسمائهم بخلاف الـ ٦٦٨ أعضاء المجامع المسكونية الثلاثة والـ ٤٩ شهيداً شيوخ شيهيت النساك الشهداء وعدد لايحصى من الباس الصليب أى الرهبان أبناء الأنبا انطونيوس والثلاثة مقارات القديسين .

وقديسو المجمع يمثلون سحابة هائلة من الشهود محيطة بنا تشجعنا فى طريق الجهاد

وتتشفع من أجلنا وتنير لنا الطريق بالسيرة العطرة التى لهؤلاء القديسين الأمناء الذين أحبوا المسيح و بذلوا كل شيء من أجل محبتهم للمسيح والحياة الأبدية..

نطلب شفاعتهم فى نهاية المجمع ونقول : « هؤلاء الذين بسؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وانقذنا من أجل إسمك القدوس الذى دعى علينا .

٦ ـ الترحيم

بعد الانتهاء من صلاة المجمع يقول الكاهن سراً :

« اذكر يارب كل الذين رقدوا وتنيحوا فى الكهنوت وفى كل طغمة العلمانيين ، تفضل يارب نيح نفوسهم أجمعين ... »

ثم يضع يد بخور فى المجمرة (الشورية) وهو يذكر من يريد أن يذكرهم من الراقدين بالاسم .

ملاحظة :

تعود بعض الشمامسة أن يخرجوا بالشورية إلى خارج الهيكل بعد وضع البخور الخاص بالراقدين فيها ، و يبخرون بها بواسطة النفخ فيها أمام أيقونات القديسين وفى وسط المصلين ، وهذا خطأ يجب الاقلاع عنه لعدة أسباب :

١ ـ ليس من حق الشماس أن يمسك الشورية و يبخر بها ولو بالنفخ فيها .
٢ ـ هذا البخور خاص بالراقدين وليس من ضمن دروات البخور .
٣ ـ عملية التبخير بين المصلين أثناء القداس تحدث نوعاً من التشويش وتحول أنظار الناس وأفكارهم عن الصلاة .

أما الوضع الأمثل فهو أن يعلق الشماس الشورية فى مكانها المخصص لها بالهيكل بعد وضع البخور فيها حتى يصعد البخرو الخاص بأنفس الراقدين مع صلوات الترحيم التى يصليها الكاهن لاستمطار مراحم الله على هؤلاء الراقدين .

و بعد أنتهاء القداس يأخذ الشماس الشورية و يفرغها فى المكان المخصص لذلك لتصويمها استعداداً للقداس التالى ، تماماً كما يفعل بتفريغ ماء طشت الغسيل والماء

المتبقى فى الأ بريق لتصو يم هذه الأ وانى .

+ بعد ذلك يقول الكاهن جهراً قطعة : « أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم ... » وهى الترحيم الباسيلى .

+ بعد مرد الشعب يقول الكاهن قطعة : « واهدنا إلى ملكوتك ... »

٧ـ مقدمة القسمة

يصلى الكاهن قطعة : « وأيضاً فلنشكر الله ... »

+ يرفع الكاهن اللفافة التى على الكأس ثم يمسك الجسد بيده اليمنى و يضعه على راحة يده اليسرى و يضع سبابة يده اليمنى عليه و يقول : **« الجسد المقدس »** .

+ ثم يرفع اصبعه من على الجسد و يغمس طرفه فى الكأس ثم يرشم به الدم داخل الكأس رشماً واحداً وهو يقول : « والدم الكريم » .

+ بعد أن ينفض الكاهن اصبعه داخل الكأس لئلا يسقط شىء من الدم الكريم خارج الكأس ثم يرفعه و يرشم به الجسد رشماً من فوق ورشماً من اسفل وهو يقول : **« اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا »** .

+ بعد ذلك يعطى السلام للشعب قائلاً : « إيرنى باسى » (السلام للكل) بدون رشم ، فالرشم هنا لجسد المسيح الموجود على المذبح .

٨ـ القسمة والتحاليل

يبدأ الكاهن بتقسيم الجسد المقدس حسب نظام معين موضح بالخولاجى (٢) ، وهو يقول صلاة القسمة الخاصة بالمناسبة ، لأنه يوجد صلوات قسم كثيرة بخلاف القسمة الخاصة بالقداس الباسيلى وتسمى قسمة سنوية ولكن توجد قسم أخرى للمناسبات المختلفة ، مثل قسمة صوم الميلاد وقسمة الصوم الكبير ، وقسمة عيد القيامة والخماسين وقسمة صوم الرسل ، وقسمة صوم وأعياد العذراء والملائكة وغيرها كثير...

---

(٢) انظر الخولاجى الكبير طبعة مطرانية بنى سو يف ص ٣٨٠ .

يختم الكاهن كل فقرة من فقرات صلاة القسمة بالطريقة المعروفة ، فيرد الشعب : « كيرياليصون . كيرياليصون . يارب ارحم » .

+ يختم الكاهن صلاة القسمة بالصلاة الربية : « أبانا الذى فى السموات ... » بعد أن يكون قد انتهى من تقسيم الجسد المقدس .

+ بعد ذلك يصلى الكاهن سراً صلاة خضوع :

« نعم نسألك أيها الآب القدوس الصالح محب الصلاح ... » وفيها يطلب أن ينجيه الله من التجارب وأن ينتهر عنه وعن شعبه الشيطان المجرب وأن يقطع عنهم كل الأسباب التى تسبب السقوط فى الخطية .

+ بعد ذلك يصلى سراً صلاة خضوع أخرى :

« كملت نعم إحسان ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع ... إلخ » . فيها يطلب من الله عن نفسه وعن شعبه أن يوحدهم به و يوحدهم ببعضهم حينما يتناولون من جسده المقدس الواحد ، وأن يمتلئوا بالروح القدس وأن يكونوا ثابتين فى الإيمان المستقيم إلى النفس الأخير.

+ ثم يصلى التحليل سراً :

« أيها السيد الرب الإله ضابط الكل ... إلخ »

يطلب الحل والغفران وأن يقبل الله توبتهم وأن يكتب اسماءهم مع صفوف القديسين فى ملكوت السموات .

+ ينسكب بعد ذلك أمام الذبيحة المقدسة فى صلاة سرية عميقة يطلب فيها من الله للمرضى شفاءً ، **وللمتضايقين** فرحاً ، وللطلبة نجاحاً ، وللمشاكل حلاً ، ثم يطلب عن نفسه .

+ بعد ذلك يصلى سراً أيضاً مقدمة أوشيتى سلام الكنيسة والآباء .

+ يصلى جهراً مقدمة أوشية الإجتماعات :

« اذكر يارب اجتماعاتنا باركها »

٩ـ الرشومات الأخيرة

+ يكشف الكاهن الكأس ثم يأخذ الإسباديكون و يرشم به الدم داخل الكأس ثم يغمسه فى الدم و يرفعه بحرص و يرشم به الجسد وهو يقول :

« القدسات للقديسين مبارك الرب يسوع المسيح ابن الله وقدوس الروح القدس آمين » .

+ يرشم الجسد مرة أخرى بالاسباديكون المغموس بالدم وهو يقول :

« جسد مقدس ودم كريم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين » .

+ يكرر الرشم مرة ثالثة وهو يقول :

« مقدس وكريم جسد ودم حقيقى ليسوع المسيح إبن إلهنا آمين » .

+ هذه الرشومات الثلاثة ترمز إلى الثلاثة أيام التى مكثها جسد السيد المسيح مدفوناً فى القبر.

+ بعد ذلك يرفع الكاهن الإسباديكون مقلوباً و يرشم به الكأس و يضعه داخل الكأس وهو يقول « جسد ودم عمانوئيل إلهنا . هذا هو بالحقيقة آمين » .

يضع الكاهن الإسباديكون مقلوباً فى الكأس ، وهذا يشير إلى عملية الصلب حينما ارقدوا المسيح مطروحاً على ظهره فوق الصليب ودقوا المسامير فى يديه ورجليه فسالت دماؤه الزكية وخضبت جسده الطاهر النقى .

١٠ ـ الإعتـراف

+ يرفع الكاهن الصينية على يديه بحرص و يصلى الإعتراف :

« آمين . آمين . آمين . ... إلخ »

وصلاة الاعتراف جزء لاهوتى هام فى القداس به يعلن الكاهن إيمانه المسيحى الأرثوذكسى فى شخص المسيح واتحاد اللاهوت بالناسوت وصلب المسيح ، واستمرار هذا الاتحاد ، وأن هذا الجسد الطاهر هو جسد المسيح المولود من العذراء مريم والذى تألم على الصليب المحيى والذى قام من بين الأموات ، فمنذ اتمام التحول يكون الرب نفسه و بصورة كاملة حالاً على المذبح تحت شكل الخبز والخمر وفى كل جزء منهماً ، وهو يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا (للتائبين طبعاً) ، وحياة أبدية لمن يتناول منه (باستحقاق واستعداد) .

+ لأهمية الاعتراف ولاهوتيته يردده الكاهن الجديد فى قداس سيامته كلمة كلمة وراء الأسقف ، وذلك بأن يضع الأسقف الثلث الأوسط من الجسد المقدس بين يديه و يضع القس المشرطن حديثاً يديه حول يدى الأب الأسقف بعد أن يغسلهما و يردد وراءه الإعتراف فى عبارات قصيرة كإعلان عن إيمانه الأرثوذكسى السليم ، وأنه تسلم هذا الإيمان من أسقفه .

+ يسجد الكاهن أمام المذبح بخشوع و يصلى بعض الصلوات السرية بينما يصلى الشماس الاعتراف الخاص به وهو واقف شرقى المذبح ووجهه إلى الغرب ويمسك بيديه لفافة مثلثة يضعها أمام وجهه على مثال السيرافيم الذين يغطون وجوههم من بهاء عظمة مجد الله .

+ وأثناء سجود الكاهن أمام المذبح يغطى الذبيحة المقدسة بأصابع يديه متقابلتين كنوع من الحرص على الذبيحة ولمنع الهوام من الوقوف عليها .

و بسط اليدين بهذا الوضع يمثل جناحى الكاروبين المظللين بأجنحتهما على تابوت العهد الموجود بداخله قسط المن فى العهد القديم ، فقد قال الرب لموسى : « وتصنع

كاروبين من ذهب ... كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك ... ويكون الكاروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء» (خر٢٥: ١٨- ٢٠).

١١-التوزيع

+ يبدأ الكاهن بتقسيم الجسد إلى اجزاء صغيرة، ثم يتناول هو منه ويبدأ بمناولة الكهنة الخادمين ثم الكهنة غير الخادمين إن وجدوا ثم يناول الشمامسة بنفس الترتيب.

+ يبارك الشعب بالصينية وداخلها الجسد مرتين، وفى كل مرة يقول الشعب: **«مبارك الآتى باسم الرب».**

+ المرة الأولى تشير إلى المجىء الأول للمسيح ودخوله أورشليم حيث قال الشعب «مبارك الآتى باسم الرب» (مت ٢١: ٩).

+ والمرة الثانية تشير إلى ظهوره الثانى فى نهاية العالم حيث يقول الناس نفس الكلام. (مت٢٣: ٣٩).

+ يأخذ الصينية رافعاً إياها على رأسه وأمامه شماس بشمعة موقدة ويذهب إلى مكان مناولة الرجال ليناولهم من الأسرار المقدسة بعد أن يتأكد من كل واحد أنه يمارس سر الاعتراف بانتظام وأنه معترف ومستعد روحياً وجسدياً للتناول، وأنه ليس بينه وبين أى أحد خصومات وأنه قد حضر إلى القداس مبكراً وحضر قراءة انجيل القداس، وفى وقت أصوام الكنيسة يجب أن يكون صائماً. ثم يأخذ الصينية ويذهب بها إلى مكان مناولة السيدات لمناولتهن، ويجب أن يتأكد أن كل منهن مستوفية للشروط السابق ذكرها.

+ يقوم الكاهن الشريك إن وجد بمناولة الدم الكريم لكل من يتناول من الجسد المقدس، **وإن لم يوجد كاهن شريك يقوم الكاهن الخديم بمناولة الجسد ثم مناولة الدم.**

+ معروف أن ساعات الاحتراس بالصوم قبل التناول هى:

٩ ساعات على الأقل للكبار، ٦ ساعات للاطفال، ٣ ساعات للرضع. أما فى حالة القداسات المتأخرة كقداسات الصوم الكبير فيكون الاحتراس من الساعة الثانية عشرة أى نصف الليل إذ يبدأ بعد ذلك اليوم الجديد والتسع ساعات التى يصومها طالب التناول تمثل التسع ساعات التى تألم فيها الرب يسوع المسيح يوم الجمعة العظيمة، فى الساعة التاسعة صباحاً حيث صدر حكم الصلب وبدأت عملية الجلد والاهانة ثم الصلب (يو١٥: ٢٠). إلى الساعة السادسة مساءً حيث تم إنزاله عن الصليب ودفنه فى القبر.

+ بعد الانتهاء من مناولة الجسد يلتقط الكاهن بحرص شديد كل الجواهر الدقيقة التى تكون عالقة بالصينية حتى لا يتبقى بها أى شىء يُرى بالعين المجردة.

+ بعد الانتهاء من مناولة الجسد والدم يقوم الكاهن بغسل الأوانى بالماء وغسل يديه وشرب هذا الماء.

ويقوم شماس بتنشيف هذه الأوانى بفوطة وحفظها فى المكان المخصص لها.

+ يلاحظ أحياناً أن الشعب يجلس أثناء التوزيع وهذا خطأ فادح يجب الإقلاع عنه، لأن لحظات توزيع الأسرار من أهم لحظات القداس التى يجب الوقوف فيها بخشوع والمشاركة فى تسابيح التوزيع من ألحان ومدائح وخلافه.

كذلك إلقاء العظة أثناء التوزيع أمر غير طقسى لأنه يضطر الشعب للجلوس فى وقت يجب الوقوف فيه والتسبيح للحمل المذبوح لأجلنا.

+ أثناء القداس الأول يمكن إلقاء عظة قصيرة لمدة ربع ساعة بعد الإنجيل وعدم تأجيل العظة إلى وقت التوزيع.

١٢ـ الصلوات الأخيرة والتسريح

+ يصلى الكاهن بعض الصلوات السرية بعد التناول.

+ يقوم بصرف ملاك الذبيحة، ورش الشعب بالماء أو رشم جباههم باصبعه المبلل بالماء.

+ ورش الشعب بالماء الذى حضر صلوات القداس هو نوع من البركة، لأن الماء

الذى حضر صلوات القداس كلها داخل الهيكل المقدس قد تقدس حسب كلام معلمنا بولس الرسول : «لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة» (١تى ٤ : ٥).

هذه المياة كالمياه التى رآها حزقيال النبى خارجة من المقدس (حز٤٧ : ١٢).

+ يقول الشعب قانون ختام الصلوات الاجتماعية :

«آمين أليلويا ذكصابترى ... إلخ»

+ يقول الكاهن البركة : « ليترأف الله علينا و يباركنا ... إلخ ».

+ يصلى الجميع الصلاة الربانية : «أبانا الذى فى السموات ...».

+ ثم يعطى الكاهن التسريح : « امضوا بسلام ... إلخ ».

+ بعد ذلك يصلى الكاهن مزمور : « ياجميع الأمم صفقوا بأيديكم ... ... »

وهو يدور حول المذبح و يقبل أركانه «شاكراً الرب الذى أعطاه هو وشعبه نعمة الوجود فى حضرته والتناول من أسراره المحيية التى تعطيهم قوة بها يغلبون أعداءهم الروحيين و يعيشون حياة النصرة على الخطية والشيطان والعالم والجسد.

+ يوزع الكاهن لقمة البركة «الأولوجية» على الشعب كنوع من التعرف عليهم وافتقادهم ومعرفة من حضر ومن لم يحضر والغريب والضيف وبذلك يتعرف على أحوال الشعب و يطمئن عليهم ، فيأكلها كل واحد بعد أن يقبلها.

لقمة الألوجية (البركة) يوزعها الكاهن بعد القداس من قربان الحمل الذى تبقى بعد اختيار القربانة التى تمت صلاة القداس عليها.

وهو خبز مقدس لأنه حضر صلاة القداس وتقدس بكلمة الله والصلاة (١تى ٤ : ٥).

وهو يشبه خبز التقدمة الذى كان يأكله الكهنة عند رفعه من على مائدة خبز الوجوه كل يوم سبت (لا ٢٤ : ٥ ـ ٩).

+ كانت العادة قديماً أن تقدم الكنيسة للشعب مائدة أغابى (محبة) عقب كل

قداس فى القاعة المخصصة لذلك خلف الكنيسة ، والتى مازات موجودة حتى الآن فى كنائس الأديرة والكنائس الأثرية القديمة ، وكانت تلك الأكلة تقوى أواصر المحبة بين أبناء الكنيسة ، كما كانت تفيد الغرباء والقادمين من أماكن بعيدة وبمواصلات بدائية تستغرق وقتاً طويلاً لحضور القداس ، كانت تلك الأكلة تسندهم حتى يرجعوا إلى بيوتهم لئلا يخوروا فى الطريق إذا رجعوا وهم صائمون (مت ١٥ : ٣٢) وحتى يرجعوا إلى بيوتهم وهم شاكرين الرب الذى يعتنى بهم روحياً وجسدياً ومن كل وجه .

انتهى القداس الباسيلى بسلام من الرب آمين

القداس الغريغورى

سيرة القديس غريغوريوس

الناطق بالإلهيات

من هو القديس غريغوريوس ؟...

القديس غريغوريوس النزينزى، الملقب بالثيؤلوغوس أى الناطق بالإلهيات، هو أحد الأباء الثلاثة الذين يُعرفون بـ «الآباء الكبادوكيين» وهم القديسين باسيليوس الكبير، وشقيقه غريغوريوس أسقف نيصص، وقديسنا هذا. وقد عاش هؤلاء الثلاثة فى عصر واحد، وكانوا من مواطنى إقليم واحد وهو كبادوكيا بأسيا الصغرى. وقد شهد هذا العصر صراعاً عنيفاً بين الإيمان السليم وبين مختلف البدع والهرطقات ولاسيما الأريوسية، التى كانت تساندها السلطة الزمنية.

ويرى أحد الكتاب أن غريغوريوس هذا كان دون صديقه الحميم باسيليوس كقائد كنسى ودون سميه أسقف نيصص كمفكر تأملى، ولكنه كان يفوق كلاهما كخطيب. وفيه كانت تظهر ثمرة إتحاد الفكر اللاهوتى اليونانى والإيمان النيقاوى (السليم). وتعود شهرة هذا القديس أساساً إلى عظاته ومقالاته التى كتبها فى الدفاع عن لاهوت الله الكلمة، فى مواجهة المد الفكرى الأريوسى الذى طغى بشدة فى ذلك الوقت، ولاسيما فى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ومقر الإمبراطور، على نحو بدى معه الإيمان السليم ضعيفاً وهزيلاً. وكانت عظاته الخمس فى هذه المدينة ليست مجرد كلمات نابعة عن معرفة نظرية عن الثالوث القدوس، ولكنها نتيجة حياة وعشرة عميقة للثالوث القدوس، ومصحوبة بنموذج توقى رائع، وإختبار حىّ لعمل الثالوث القدوس فى حياته، على نحو أثر أيما تأثير على نفوس السامعين. وبعث فى العظام الرميمة نسمة حياة على نحو ما سنرى.

وقد ذخرت حياته فى مجموعها بتقلبات عديدة... من ميل إلى حياة التوحد والتأمل الفكرى إلى ميل إلى قرض الشعر بل وكتابه المسرحيات الدينية المسيحية، وحب للطبيعة والصداقة وميل للدراسات الشاقة. وكان بذلك يشهد صراعاً داخلياً عنيفاً بين

حياة التأمل، وبين ضجيج الإدارة الكنسية. وكان غير راض بكليهما، ولكنه مع ذلك عمل بقوة على إنتصار الإيمان الأرثوذكسى كمسيحية عملية حقيقية.

ميلاده:

ولد هذا القديس سنة ٣٢٩م أو ٣٣٠م، فى قرية صغيرة تدعى أرينز التابعة لمدينة نزينز، وهى من مدن الأسواق، فى الجنوب الغربى لإقليم كبادوكيا (تركيا حالياً) الذى يقع فى الطرف الشرقى من آسيا الصغرى على حدود أرمينيا الصغرى، أو فى إحدى ضواحى المدينة.

ورغم أن القديس بولس الرسول كان قد كرز فى مناطق عديدة من أقاليم آسيا الصغرى مثل أيقونة ولسترة ودربى من إقليم ليكاؤنية فى التخوم الغربية، وذكر بطرس أسماء بعض المسيحين منهم. إلاّ أن التبشير العميق والنهائى، كما يرى بعض المؤرخين- كان فى الجيل الثالث على يد القديس غريغوريوس صانع العجائب، وهكذا صارت هذه الأقاليم من القرن الرابع كلها مسيحية، على نحو استطاع معه القديس غريغوريوس أن يقول عن إيمان الكبادوكيين أنه إيمان معروف ولا يرتاب فيه أحد.

وراء كل عظيم ...أم:

لعل أول مدرسة يتعلم فيها الإنسان، ومن خلالها، كل ما يخص حياته فى المستقبل، إن قداسة أو عدم قداسة، هى مدرسة الأم... الأمر الذى يلقى بمسئولية ضخمة على عاتق المسئولين عن إجتماعات الشابات هؤلاء اللاتى، سيكنّ أمهات فى المستقبل، مما يستلزم تعرفهن بسر الزواج كمسؤلية روحية وضخمة، تلعب فيها الأم دوراً أساسياً وخطيراً... فالأسرة هى الكنيسة التى ستلد أولاداً للرب.

ليس هذا من عندنا، فها هو تاريخ معظم سير الآباء والقديسين، بل وحتى مشاهير الرجال فى الحياة العامة، تعكس أثر المرأة ودورها المتميز، أماً كانت أم زوجة، فى نجاحهم وشهرتهم.

كانت فوننا أم القديس غريغوريوس، من هذه النماذج العذبة والمشرفة، التى

تهديها الكنيسة إلى شاباتها (١)، فقد كانت زوجة إستطاعت بصبرها وصلواتها وحياتها النقية وقدوتها الصالحة أن تجذب زوجها وكان يُدعى أيضاً غريغوريوس من البدعة التى كانت يتبعها إلى الإيمان المستقيم، ونال العماد حوالى سنة ٣٢٩م وذلك قبل سيامته أسقفاً على مدينة نزينز بأربعة سنوات.

كزوجة، يصفها إبنها قائلاً [إنها كانت حسب فكر سليمان الحكيم، خاضعة فى كل شىء لزوجها، حسب شريعة الزواج، دون أن تخجل أن تكون معلمته، وقائدته فى الإيمان الصحيح. لقد حلت المعادلة الصعبة من ربط الثقافة العالية، وبالذات فى معرفة الأمور الإلهية، بالتدريب الصارم لحياة التقوى، مع العناية العملية ببيتها (كزوجة وربة بيت)].

وإذ لم يكن لها سوى بنت واحدة تدعى غورغينا، وكانت تترجى الله وتصلى إلى الرب بلجاجة وإيمان، أن يعطيها الله ولداً تكرسه لخدمة الله. فإستجاب الله لطلبتها وأعطاها سؤل قلبها، وأنجبت هذا القديس، الذى كرسته قبل ولادته، وهو مازال جنيناً فى أحشائها، مثلما فعلت حنة أم صموئيل، لخدمة الرب. ثم ولدت إبناً آخر دعته (سيساريوس).

وباختصار كانت مثالاً حياً، وإنجيلاً معاشاً تلامس معه القديس وإرتوى من هذا النبع منذ نعومة اظافره، جنباً إلى جنب مع لبن الطفولة.

شبابه :

هكذا نما وترعرع الصبى فى بيت تقى، وفى كنف أم تعتنى بحياته الروحية كما تدبر له شئونه الجسدية، فشب على حب الله والعمل بوصاياه وعلى قراءة الكتاب المقدس غذاء النفوس... ولم يكن هذا بالطبع أوامر تصدرها أم إلى أولادها أن يقرأوا وأن يصلوا... وكفى!! بل كانت حياة تقدمها هى أولاً لهم دون صوت أو كلام... والقدوة دائماً أعلى صوتاً وأعمق أثراً على نفس الأولاد، من أوامر الوالدين، البعيدة

---

(١) انظر سلسلة « للشابات فقط : نساء معلمات ـ القديسة فونتا » قريباً بمشيئة الله للكاتب.

عن واقع حياتهما اليومية أمام أبنائهما !! وأنت أيها الأخ الحبيب، عليك أيضاً مسئولية، لا تعتفى منها أن تقدم حياتك نموذجاً صالحاً لأقوالك، أمام أخوتك الصغار، أشقائك بالجسد أو بالروح.

وفى أوائل حياته، رأى فى منامه ذات يوم، فتاتين عذراويتين، فى لباس محتشم، إحداهما تدعى العفة والأخرى القناعة، وكل منهما تدعوه وتحثه إلى الصعود إليها والالتصاق بها... ثم ما لبثا أن غابتا عن عينيه، وصعدتا مرة أخرى إلى السماء... ومنذ ذلك الحين هام القديس غريغوريوس بحب التبتل، وفاضت عظاته ومقالاته بالحديث عن البتولية دون أن يحط أو ينكر قدسية وفائدة حياة الزيجة.

وعندما أتم القديس ما يمكن تحصيله فى نزينز توجه إلى قيصرية كبادوكية ليتأدب بعلومها، علماً أنه لكى يواجه المعارف الوثنية - وكانت فى ذلك الوقت لا تزال قوية - لا يصح أن يكون دونها ثقافة وعلماً. ومن المحتمل أنه تقابل مع القديس باسيليوس الكبير هناك، وعقد معه صلات حميمة.

ثم توجه بعد ذلك إلى قيصرية فلسطين حيث كانت تشتهر فى ذلك الوقت بمدارس البلاغة. ثم إنتقل بعد ذلك إلى الأسكندرية، حيث كان القديس أثناسيوس الرسولى قد حاز كرامة سامية فى الكنيسة، ويرجح أنه إلتقى بالقديس ديديموس الضرير ناظر مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

وأخيراً توجه إلى أثينا التى كانت تحتفظ بشهرتها ككرسى للعلوم اليونانية، وكانت الثقافة العالمية فى ذلك الوقت إغريقية، وهناك أتقن علوم الخطابة والبلاغة والأدب الإغريقى والفلسفة والطبيعة، وصار فيما بعد شاعراً وخطيباً.

وهناك فى أثينا إلتقى مرة أخرى بصديقه القديس باسيليوس وقوى رباط الصداقة الروحية بينهما، وصارا كما يقول هو نفسه [نفساً واحدة فى جسدين] وقد كتب عن تقابله مع باسيليوس فى أثينا، بعد ذلك بعشرين سنة قائلاً [بينما كنت أبحث عن البلاغة، وجدت السعادة، وكأن ما حدث لشاول قد حدث لى، فبينما كان يفتش عن حمير أبيه، إذ به يلاقى عرش الملك، ويربح شيئاً أعظم مما كان يفتش عليه].

هذا وقد أردت مدرسة أثينا إستبقائهما لتدريس الأداب ، ولكنهما كانا قد مالا إلى تكريس حياتهما لخدمة الرب .

وهناك فى أثينا تقابل أيضاً مع الأمير جوليان ، الذى صار فيما بعد يوليانوس الجاحد ، الإمبراطور الرومانى الذى ملك على الشرق بعد قسطنس ، حيث كان يدرس هناك فى ذلك الوقت ، وكان ذكياً يتظاهر بالتقوى وحب المسيحية ، وأراد أن يلتصق بالقديس ... ولكن القديس شعر على الفور بنفور كلى نحوه ، وأحس بشره المستتر وتجنب معاشرته ، وقال عنه ببصيرة نبوية [أى شىء تربيه الإمبراطورية الرومانية لنفسها هنا .. !!] ولما جلس على كرسى المملكة فيما بعد حاول جاهداً أن يجذب إليه القديس ويضمه إلى بلاطه ولكنه لم يفلح . ولما بلغ القديس أن أخاه سيسيريوس قد قبل وظيفة مُعتبرة عنده ، أرسل إليه موبخاً حتى ترك الوظيفة ، معرضاً حياته لخطر الموت . ثم تصدى القديس بمقالا ته الملتهبة ، بعد ذلك لهذا الإمبراطور .

الخلوة أم الخدمة :

لم يكن القديس رغم نشأته الدينية ودراستة للعلوم الدينية ، قد نال سر المعمودية المقدس حتى الآن وذلك عملاً بالعادة التى كانت سارية فى أيامه عن تأخير سر العماد ، والذى كان بالنسبة له شرط للخلاص ، لذلك عند عودته من أثينا إلى مسقط رأسه نال الصبغة المقدسة ، وكان عمره حينئذ ثلاثين سنة تقريباً . وكان ذلك حوالى سنة ٣٥٨م أو سنة ٣٥٩م .

وما أن إقتبل سر المعمودية المقدسة ، حتى ألقى بنفسه فى حياة نسكية صارمة ، وعزف بكامل رضاه حتى عن المتع البريئة مثل الموسيقى ، لأنها تطرى فى نظره الحواس ، وكان طعامه الخبز والملح وشرابه قليل ماء ، وفراشه الأرض الغراء ، ورداؤه ثياباً خشنة ... وشغل العمل نهاره ، والتأمل المقدسة والصلاة والترنيم جزءاً كبيراً من ليله . كان يشجب حياته الماضية من ضجيج وضحكات ... منشغلاً بالهذيذ الهادىء الذى صار موضع مسرته وشريعته وفى خلوته .

ثم إلتحق بعد ذلك بالقديس باسيليوس الكبير ، ليعيش معه حياة الخلوة والتأمل فى المكان الذى أنشأه فى إقليم بنطس بالقرب من ترعة أيريس .

صوت الشعب :

... ولكن حياة الخلوة هذه لم تدم ففى سنة ٣٦١م أو ٣٦٢م وبإلحاح وإصرار من الشعب، وعلى غير رضاه، وبدون سابق علم، قام والده بسيامته كاهناً ليساعده فى خدمة كنيسة نزينز. لقد كان مثل هذا الإختيار القهرى والسيامة أمراً معتاداً فى ذلك الوقت لاسيما أمام رغبة الشعب الملحة، الذى كان صوته فى حالات كثيرة مثبتاً حقاً أنه صوت الله، ومثلما حدث بالنسبة للقديس باسيليوس وأغسطينوس وأمبروسيوس وكثيرين. ولقد ألقت هذه السيامة المفاجئة غريغوريوس فى صراع باطنى عنيف بين الميل القوى إلى حياة التوحد والنسك، وبين إجلاله للكهنوت وما يتطلبه من واجبات. ولم يستطع أن يضحى سريعاً بحياة التأمل من أجل خدمة النفوس.

صراع ... وخضوع :

وهرب غريغوريوس حالاً، إلى صديقه فى بنطس ... ولكن هروبه لم يدم طويلاً ... فنظر لكبر سن والده، ووفاة أخيه سيسيريوس، ودعوة الكنيسة الملحة له عاد فى عيد الفصح سنة ٣٦٢م يعاون أباه فى إدارة كنيسة نزينز. وهناك ألقى خطابه المنبرى الأول، الذى يبرر فيه مسلكه قائلاً [كان من المفيد أن أتراجع قليلاً عن دعوة الله مثل موسى وأرميا من بعده، ولكن أيضاً من المفيد أن أتقدم باستعداد، وعندما يدعو الله مثل هارون وأشعياء ... شريطه أن يكون كلا الفعلين قد تما بروح تقوية. الأول بسبب الضعف المتوارث، والآخر فى إتكال على قوة ذاك الذى دعى].

ليس هكذا ... يا أبى !

عندما عاد غريغوريوس إلى نزينز، وجد شعب المدينة متضجراً من أبيه، متجنباً الصلاة معه، لأنه فى بساطته وَقع على صيغة الإيمان الأريوسى عن سذاجة، إذ لم يكن متضلعاً فى المعارف والعلوم الدنيوية. فتقدم غريغوريوس فى حب صادق، وأسلوب مهذب وإحترام لشيخوخة أبيه، يوضح له، ما فى هذه الصيغة من مخاطر وخبث، حتى رجع أبوه عنها، وعاد إليه الشعب للصلاة معه.

رئيس الأساقفة :

فى هذه الأثناء تنيح أسقف قيصرية ، وهى العاصمة المدنية لكبادوكيا ، سنة ٣٧٠م ويرى البعض أن أسقف كنيسة قيصرية الكبادوك كان يشرف فى ذلك الوقت ، على خمسين أسقفاً آخرين . لذلك كان مقامه خطيراً فى الإقليم كله ، فقد كان بمثابة رئيس أساقفة أو بطريرك ، حسب تعبيرنا الحالى .

فقام على الفور غريغوريوس الوالد والقديس إبنه ، بترشيخ باسيليوس الكبير لهذه الرتبة ، وكان كاهناً فى ذلك الوقت . وساعدوه على ذلك برسائل توصية للبعض ، ورسائل حازمة للبعض الآخر . ليس هذا فحسب بل أن غريغوريوس الوالد وفى شيخوخته ومرضه ، كان يبلغ حينئذ نحو تسعين عاماً ، توجه إلى قيصرية ، محمولاً على محفة ، ليُلقى بكامل ثقله إلى جانبه ، حتى تم إنتخابه .

أسقف ... مع وقف التنفيذ !!

وفى سنة ٧١ش٣م أو ٣٧٢م قام الإمبراطور فانسى بتقسيم كبادوكية إلى قسمين . الأجزاء الشمالية والشرقية من الإقليم القديم ، وجعل عاصمتها قيصرية . والأجزاء الجنوبية والغربية ، وجعل عاصمتها (تيان) .

فقام أسقف تيان ونصَّب نفسه رئيساً لأساقفة كبادوكيا الثانية ورفض أى سلطان لباسيليوس عليه . فأراد باسيليوس تثبيت سلطته ، فرسم غريغوريوس ، ومرة أخرى ، على غير هواه ، بضغط ومساعدة الوالد ، أسقفاً على قرية صغيرة كانت ملتقى ثلاث طرق رئيسية ، تدعى (سازيم) وذلك سنة ٣٧٢م . ولكن غريغوريوس لم يستطع أن يدخل هذه الإيبارشية على الإطلاق ، طوال حياته ، ولم يتمكن من إستلام عمله هناك بسبب ذلك الأسقف . فهرب إلى الجبال ليختلى هناك .

ولما رأى والده ذلك وكان قد بلغ من العمر نحو مائة سنة ، إستدعاه ليساعده فى إدارة الكنيسة وتدبير شئون الرعية ، فجاء غريغوريوس لمساعدته على أساس أن لا يكون مُلزماً برعاية الشعب من بعده ، وظل هناك إلى أن توفى والده سنة ٣٧٤م . وبعده بقليل توفيت أمه أيضاً . وأراد الشعب تثبيته محل أبيه ، فهرب مرة أخرى إلى الجبال حيث

إعتزل هناك فى منطقة سلوكية عاصمة إيزوريا، سنوات عديدة يمارس فيها رياضاته الروحية المحببة إليه.

وفى هذه الأثناء توفى القديس باسيليوس فى أوائل سنة ٣٧٩م، فعلم بذلك وهو مازال معتكفاً هناك فى جنوب غرب كباوكيا.

من يعثر... وأنا لا ألتهب:

رغم أن غريغوريوس كان يعانى دائماً من الصراع المرير بين رغبته وميله القوى الجارف نحو العزوف عن ضجيج الحياة، والبعد عن الخدمة والإختلاء فى الجبال، لممارسة صنوف النسك والتقشف والتأمل الروحى... وبين دعوة الروح له بالنزول إلى حقول وكروم الرب، وطلب ما للآخرين، وخدمة الجموع ونشر نور الحق الإنجيلى وتقديم شعباً مؤمناً، وكهنوتاً ملوكياً، إلى ملكية الله. على نحو ما عبر عنه ذلك بوضوح فى إحدى رسائله. إلاّ أنه فى هذه المرة، نزل على الفور وتوجه إلى القسطنطينية وكأن لسان حاله يردد مع بولس الرسول «من يعثر وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩).

أعبر إلينا ... وأعنا:

كان غريغوريوس فى هذه الأثناء، كما يذكر أحد المؤرخين، مكدوداً نفسياً وجسدياً، لاسيما بعد إنتقال باسيليوس. لكن العناية الإلهية، كانت تعده لعمل أعظم، ومكانة رفيعة فى العاصمة الشرقية للإمبراطورية الرومانية. ففى سنة ٣٧٩م، دُعى لمهمة رعوية من الكنيسة الأرثوذكسية فى القسطنطينية، التى كانت تقاسى فى الشدائد الكثيرة من ضغط الحاكم الأريوسى، وتدهور عدد المؤمنين الأرثوذكسيين إلى حفنة ضئيلة ولم يعد لهم كنيسة خاصة بهم، حيث سادت البدعة الأريوسية هناك وإنتشرت. وإغتصب الأريوسيون الكنائس، وسيطروا عليها نحو ٤٠ سنة. وقد حثه أساقفة كثيرون على قبول هذه الدعوة من الأرثوذكسيين.

فى شدائد كثيرة:

خرج غريغوريوس من خلوته وتوجه إلى القسطنطينية ليرعاها فى ظروفها الصعبة وسط البدع والهرطقات التى سادتها، وبالأخص الأريوسية، بعد أن أحس بالروح

القدس العامل فيه بهذه المسئولية.

لقد أدى ظهوره المفاجىء، وطلعته المنحنية تحت ثقل المرض، ولباسه الحقير، ونمط حياته البسيط، ورفضه لكل متعع العاصمة وترفها إلى إثارة سخرية الهراطقة، ولكنهم خافوه، وبدأوا يشهرون به، يحرضون الشعب الأريوسى على إضطهاده حتى أنهم رجموه ذات مرة وقد قاوموه بشدة حتى أنهم أغاروا عليه وقت الصلاة ذات يوم، وإعتدوا على المصلين... وكسروا الكأس، وقلبوا المائدة، وخلطوا النبيذ المقدس بالدم، ودنسوا المذبح، وأصابته بعض الحجارة. ولما نصحه البعض برفع شكوى إلى الحكام رفض أن يشكو أحداً، فشكاه الأريوسيون واتهموه بالقتل. وعندما استدعى فى اليوم التالى، للمحاكمة عن هذا الإضطراب، دافع بشجاعة عن نفسه إلى الحد الذى أظهرت هذه الحادثة عدالة قضيته، وتحولت إلى سبب بركة كبيرة له وللشعب الأرثوذكسى... ومن المحتمل أن يكون قد إكتسب لقب «المعترف» فيما بعد من هذا الظرف.

وفى مرة ثالثة أرداوا اغتياله... ولما كان القديس مُعتاداً على ترك أبواب داره مفتوحة للجميع... تمكن القاتل من الدخول والوصول إلى غرفته، بينما كان راقداً... ولكنه عندما وصل إلى فراشه البسيط، ورفع يده ليقتله، إذا به يلقى بنفسه تحت قدميه باكياً... ولما إستعلم الخبر، إعترف واستغفر، فعفى عنه القديس وجعله من خواصه.

أناسطاسيا: المكان الرمز:

ولم يجد غريغوريوس كنيسة ليعظ فيها شعبه، إذ كانت كلها فى يد الهراطقة، فلجأ إلى بيت أحد الأصدقاء، وأخذ يكلم ويعظ الشعب فيه، وأسماه (أناسطاسيا) أى القيامة، وكان حقيقة قيامة، لأن فيه قد بُعث الإيمان الأرثوذكسى القويم، وعقيدة مجمع نيقية (عن لاهوت الله الكلمة) مرة أخرى إلى الحياة فى النفوس.

وتسلح غريغوريوس إلى جانب الإيمان العامل فيه، بالصبر والوداعة والحب والإحتشام، وصار يعظ ويعلم بموهبة نادرة وإلهام إلهى، مخصصاً عظاته بصفة أساسية للدفاع عن لاهوت السيد المسيح، وعقيدة الثالوث القدوس. وفى نفس الوقت كان يسعى بجدية وإخلاص حقيقى إلى تطبيق سيرة مقدسة للإيمان الحق. ويرى واضحاً فيه إقتران الفضائل الروحية بالبلاغة والتعليم، فأحبه الشعب بكل طبقاته، وبدأوا

يتزاحمون لسماع عظاته ، وإزداد عدد المؤمنين جداً . حتى أن جيروم المشهور، وكان فى ذلك الوقت يبلغ من العمر نحو خمسين سنة ، جاء من سوريا إلى القسطنطينية خصيصاً ليستمع إلى محاضراته وعظاته ، و يتلقى تعليمه فى تفسير الكتاب المقدس ، وكان يفتخر دائماً أنه كان تلميذاً فى مدرسة هذا القديس ، و يدعوه بإمتنان معلمه ومفسره .

وظل القديس غريغوريوس يجاهد بلسانه وتعليمه دفاعاً عن الإيمان القويم مدة يقدرها البعض بنحو سنتين ، حتى حقق الله له إنتصار الإيمان النيقاوى مرة أخرى فى هذه العاصمة الامبراطورية . وكما ساد الإيمان القويم من الداخل على نفوس شعب هذه المدينة ، هكذا رتب الله أيضاً إنتصاراً خارجياً ، فقد تم فى هذه الأثناء تتويج الإمبراطور ثيئودوسيوس فى فبراير سنة ٣٨٠م ، وعندما دخل القسطنطينية فى ديسمبر من هذه السنة خلع الأسقف الأريوسى مع كل كهنته ، وسلم الكنيسة الكاتدرائية إلى القديس غريغوريوس قائلاً له [إننا نعهد إليك بهيكل الله هذا ، بأيدينا ، كمكافأة لآلامك] . وتحول كثير من المبتدعين إلى الإيمان المستقيم . وتحول البيت الصغير أيضاً إلى (بازيلكا) أى كنيسة كبيرة ودعى كنيسة أناسطاسيا أى كنيسة القيامة ، حيث بعث فيها غريغوريوس الإيمان القويم الذى كان يحتضر فى هذه المدينة .

وأراد شعب هذه المدينة بإلحاح شديد وغيرة قوية أن يكون أسقفاً عليهم ، ولكنه رفض بشدة . إذ لم يكن قد أُعفى من إيبارشيته سازيما ، رغم أنه لم يكن قد دخلها بتاتاً ، أو نزينزا رغم أنه كان مساعداً فقط لأبيه . وكان يلزم أن يُعفى منها بواسطة مجمع مقدس .

فى المجمع المسكونى الثانى :

وفى سنة ٣٨١م عندما دعا الإمبراطور ثيئودوسيوس إلى عقد المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطينية فى الجدل اللاهوتى والعمل على الإستقرار الكنسى ، أُختير غريغوريوس بواسطة هذا المجلس أسقفاً على هذه المدينة ، وقطعوا مكسيموس الكلبى . ونظراً لكرامته ، رأس القديس هذا المجمع عقب نياحة ملاتيوس بطريرك أنطاكية أثناء إنعقاده .

يونان الجديد :

... عندما وصل الأساقفة المصريون وأساقفة مكدونيا ، إحتجوا على هذا الإختيار الذى تبعاً للقانون رقم ١٥ لمجمع نيقية ، لا يمكن نقل أسقف من إيبارشية إلى أخرى ... وحيث أن القديس غريغوريوس قد سيم أسقفاً على سازيما فلا يجوز تثبيته على القسطنطينية .

ولكنه قبل انصرافه من المجمع وجه خطاباً إليهم قائلاً [أيها الأ باء المحترمون رعاة خراف السيد المسيح ... أنكم قد إجتمعتم هنا ، لكى تجعلوا الكنيسة فى سلام ... ومن ثم لا يليق بكم أن تنشئوا الخصام وإضطراب الأفكار بحيث يزول السلام من بينكم جميعاً . أرجوكم الآن كونوا واحداً ، ترابطوا بالحب ... ليعط كل واحد يد الحب للآخر ، أما أنا سأكون يونان الثانى . إننى أقدم نفسى لأجل خلاص سفينتنا (الكنيسة) على الرغم من أننى برىء من العاصف . ألقوا علىّ قرعة ، واطرحونى فى البحر ، وليبتلعنى حوت عظيم . إن ذلك سيكون بدائة تآلفكم . لقد أُصعدت إلى كرسى الأسقفية قسراً ، والآن أنا بسرور أنزل ، حتى جسدى الضعيف ينصحنى بذلك . خذوا مالم أطلبه قط ، ولا أرغب فيه أبداً ... أيها الثالوث القدوس ، أسيكون لك رجلاً قوياً شجاعاً غيوراً للدفاع عنك ؛ وداعاً وتذكروا جهادى وآلامى] .

وفى هذا الخطاب الذى ألقاه أمام الأساقفة ، قدم حساباً عن إدراته للكنيسة ، وأورد مذلته السابقة وإنتصاره الحاضر لإيمان نيقية فى القسطنطينية ، ودوره الخاص فى هذا التغير العظيم ، الذى من أجله يلتمس راحة كمكافأة وحيدة له . ويحض مستمعيه على الحب والتآلف . وهذا الخطاب مازال يقدم شهادة عظيمة لغريغوريوس فى التضحية بالذات من أجل سلامة كنيسة الله الواحدة الوحيدة ، بالمقابلة مع كهنة وأساقفة كثيرين ، كان كل همهم ـ كما يقول أحد المؤرخين ـ إقتناء كرامة من وظائفهم .

سلام الكنيسة أم كرامتى :

توجه غريغوريوس بعد ذلك إلى الملك ، يلح عليه بالموافقة على تنازله عن كرسى القسطنطينية لكبر سنه ، ولسلام الكنيسة وتجنيبها كل خصام وشقاق .

وقبل أن يغادر القسطنطينية ودع المؤمنين هناك، وكنيسته الحبيبة أنساطسيا، بخطاب مؤثر جاء فيه [الآن وداعاً يا أنساطسيا ... يا من تحملين إسماً مقدساً، لقد عظمت من جديد إيماننا الذى أحتقر مرة، أنت يا حقل انتصارنا جميعاً، يا شيلوه الجديدة ... حيث أعدنا إليك مرة أخرى تابوت العهد الذى أخذ منك، لأربعين سنة فى تغربنا فى البرية] .

وترك القسطنطينية فى يونيو سنة ٣٨١م وعاد إلى موطنه يدير كنيسة نزينز حيث استأصل ما كان بها من بقية المبتدعين، وحين كانت لا تزال بلا راع إلى أن انتخب لها فى أواخر سنة ٣٨١م إبن عمه أفلاليلوس، أسقفاً لهم ثم إنفرد هو بعد ذلك فى أراضيه التى كانت تمتلكها الأسرة بأرينز، حيث قضى سنواته الأخيرة منصرفاً إلى حياة النسك والتأمل طوال السنوات الباقية من عمره دون أن ينزوى عن سائر الناس .

توحد وخلوة فى إيجابية :

ومن وحدته إستمر فى متابعة شئون الكنيسة، ومن خلال رسائله، بنشاط وغيرة معتنياً برفاهية وآلام الناس المحيطين به . فلم تكن عزلته برجا عاجياً، إذ كان يعتقد أن العمل على الإتحاد بالله، لا يتعارض مع تفتح القلب والروح على الخلجات والعواطف الإنسانية .

أعماله وكتاباته :

كان القديس غريغوريوس يهتم بمساعدة كل من يلتمس مساعدته، فقد كانت له علاقة حميمة بجميع الناس، سواء من كانوا فى مراتب دنيوية عالية أو فى مناصب دينية كنسية . وحدث أن تذمر أهالى نيزينز ذات مرة وقاموا بمخالفات خطيرة ضد الحاكم، حتى أنه هم بهدم المدينة، وكتب إليه متوسلاً عنهم، حتى نالوا العفو.

وفى كتاباته كان يلح كثيراً على إتحاد النفس بالله، وكان يردد دائماً عن الله [ثالوثى] وكان يقول [إن القداسة هى أن تكون مع الله] .

وقد ترك لنا كنزاً ثميناً من الكتابات اللاهوتية العميقة والرسائل الروحية، والعظات الرائعة . و من بين هذه الكتابات تبرز بوضوح عظاته الدفاعية الخمس عن

وقبل أن يغادر القسطنطينية ودع المؤمنين هناك، وكنيسته الحبيبة أنساطسيا، بخطاب مؤثر جاء فيه [الآن وداعاً يا أنساطسيا... يا من تحملين إسماً مقدساً، لقد عظمت من جديد إيماننا الذى أحتقر مرة، أنت يا حقل انتصارنا جميعاً، يا شيلوه الجديدة... حيث أعدنا إليك مرة أخرى تابوت العهد الذى أخذ منك، لأربعين سنة فى تغربنا فى البرية] .

وترك القسطنطينية فى يونيو سنة ٣٨١م وعاد إلى موطنه يدير كنيسة نزينز حيث استأصل ما كان بها من بقية المبتدعين، وحين كانت لا تزال بلا راع إلى أن انتخب لها فى أواخر سنة ٣٨١م إبن عمه أفلاليلوس، أسقفاً لهم ثم إنفرد هو بعد ذلك فى أراضيه التى كانت تمتلكها الأسرة بأرينز، حيث قضى سنواته الأخيرة منصرفاً إلى حياة النسك والتأمل طوال السنوات الباقية من عمره دون أن ينزوى عن سائر الناس .

توحد وخلوة فى إيجابية :

ومن وحدته إستمر فى متابعة شئون الكنيسة، ومن خلال رسائله، بنشاط وغيرة معتنياً برفاهية وآلام الناس المحيطين به . فلم تكن عزلته برجا عاجياً، إذ كان يعتقد أن العمل على الإتحاد بالله، لا يتعارض مع تفتح القلب والروح على الخلجات والعواطف الإنسانية .

أعماله وكتاباته :

كان القديس غريغوريوس يهتم بمساعدة كل من يلتمس مساعدته، فقد كانت له علاقة حميمة بجميع الناس، سواء من كانوا فى مراتب دنيوية عالية أو فى مناصب دينية كنسية . وحدث أن تذمر أهالى نيزينز ذات مرة وقاموا بمخالفات خطيرة ضد الحاكم، حتى أنه هم بهدم المدينة، وكتب إليه متوسلاً عنهم، حتى نالوا العفو.

وفى كتاباته كان يلح كثيراً على إتحاد النفس بالله، وكان يردد دائماً عن الله [ثالوثى] وكان يقول [إن القداسة هى أن تكون مع الله] .

وقد ترك لنا كنزاً ثميناً من الكتابات اللاهوتية العميقة والرسائل الروحية، والعظات الرائعة . و من بين هذه الكتابات تبرز بوضوح عظاته الدفاعية الخمس عن

عقيدة لاهوت الله الكلمة ، وإيمان نيقية ، التى ألقاها بالقسطنطينية ، والتى بسببها لقبه أباء المجمع المسكونى الثانى الناطق بالإلهيات أو (الثيئولوغوس) أى اللاهوتى ، بالمعنى الضيق كمدافع ومُثبت لعقيدة لاهوت الإبن . ومما هو جدير بالذكر أن هذا اللقب ، لم يُلقب به أحد من قبل سوى يوحنا الإنجيلى .

يعتبره بعض المؤرخين أعظم خطباءالكنيسة اليونانية بإستثناء ذهبى الفم ، وكانت عظاته مملوءة بفن الإقناع والأمثلة الإختبارية المستقصاه من روح العصر والمقدمة بمذاق طبيعى وصحى . وكشاعر كان يحوز على مكانة محترمة ، فقد كتب الشعر فى حياته المبكرة وكان كعصفور يشدو بين الأغصان ، حتى أن كثيراً من خطبه كانت شعراً . وإن كانت هذه الأشعار لم تحول إلى ترانيم كنسية . بعضها جميل ويحتوى على مشاعر عميقة وحب نبيل .

ومن أهم كتاباته القداس الغريغورى الذى مازالت تصلى به كذلك الكنيسة القبطية حتى الآن و بالذات فى الأعياد ، وهو قداس تأملى رائع وعميق .

حفظ لنا التاريخ أيضاً ٢٤٢ رسالة لم تعتبر هامة فى تاريخ هذ الفترة . ومن الطريف أنه كان أيضاً أول من حاول تقديم مسرحيات دينية مسيحية .

نياحته :

وكلما كانت ساعة الموت تقترب منه ، كلما كان يعد نفسه لها بالتأمل والصلوات والممارسات النسكية ، لكى يكون أكثر وأكثر وأكثر ، مرآة نقية بالحق لله . وأن يكون مستعداً وجاهزاً بالرجاء للتمتع بخيرات العالم الآتى ، ولكى يسير مع الملائكة ، و يهجر الأرض بينما هو مازال سائر عليها ، ولكى ينطلق بالروح إلى أعلى .

وهكذا كان فى خلوته الأخيرة ، كما وصف نفسه فى إحدى أشعاره ، يعيش بين الوحوش ، بلا نعال ، فى ثياب خشنة . وأخيراً سلم إلى أحد الإكليروس وصيته الأخيرة التى يهب فيها المساكين كل أملاكه وأمواله ، ولم يعط شيئاً لأقربائه ، إذ كان يقول [الله جعل الفقراء ورثة الإكليروس] . ثم رقد فى الرب وانتقل إلى راحة القديسين ، بعد أرض الشقاء ، حوالى سنة ٣٨٩م أو ٣٩٠م (البعض يرى سنة ٣٩١م) ولا يُعرف ظروف نياحته على وجه التدقيق .

وقد نقلت رفاته فيما بعد، أولاً إلى القسطنطينية، ثم نقلها البابا الرومانى غريغوريوس الثالث عشر إلى روما، حيث بنى له هيكلاً بكنيسة القديس بطرس سنة ١٥٨٠م. كما يوجد بعض من رفاته فى فينسيا كما يذكر أحد المؤرخين.

تذكاراته:

تذكره الكنيسة القبطية فى مجمع القديسين فى التسبحة والقداس كما تصلى بقداسة التأملى الرائع.

وتعيد بتذكار نياحته فى ٢٤ توت من كل عام (انظر الصادق الأمين فى أخبار القديسين)

بركة صلاته فلتكن معنا آمين.

يوجد شخصان آخران مشهوران باسم غريوغوريوس مذكوران فى مجمع القداس هما:

١ - غريغوريوس صانع العجائب: وكان أسقفاً لقيصرية الجديدة باقليم البنطس، وسمى العجائبى أو صانع العجائب لكثرة العجائب والمعجزات التى صنعها الله على يديه. وقمت سيامته بأمر من الله وتعيد له الكنيسة القبطية فى ٢١ هاتور من كل سنة.

بركة صلاته فلتكن معنا آمين.

٢ - غريغوريوس الأرمنى: وهو بطريرك الأرمن الذى صار شهيداً بدون سفك دم، وذلك أن الملك الوثنى ألقاه فى جب فارغ استمر فيها حياً لمدة ١٥ سنة كاملة، وأمر الله إمرأة كانت تسكن بالقرب من الجب أن تلقى خبزاً فى الجب بين الحين والآخر حتى يقتات منه القديس.

وأخيراً مرض الملك ورأت أخته فى منامها من يقول لها: إن لم تخرجوا غريغوريوس من الجب لا يبرأ أخوك. فاصعدوه من الجب وصلى على الملك فشفى من أمراضه، فآمن الملك وكل سكان كورته فعلمهم وعمدهم وبنى لهم كنائس كثيرة ووضع لهم القوانين اللازمة للعبادة والحياة المسيحية.

ولما أكمل سعيه الصالح تنيح بسلام وتعيد الكنيسة القبطية بتذكار نياحته يوم ١٥ كيهك.

بركة صلاته فلتكن معنا آمين.

القداس الغريغورى

+ وضعه القديس غريغوريوس الثيئولوغوس ، وكل صلواته موجهه لله الإبن الرب يسوع المسيح مخلصنا الصالح ، وهو قداس تأملى رائع ، وألحانه تميل إلى الفرح ، لذلك يصلى به الآباء الكهنة غالباً فى أيام الأعياد وأيام الفرح .

+ و ينقسم القداس الغريغورى إلى الأقسام التالية :

١ - رشومات إى أغابى وصلوات تمجيد وتسبيح .

٢ - رشومات أجيوس ثم عرض لخلقة الإنسان وسقوطه ومجىء الرب يسوع لخلاصه الذى تم بالصلب والقيامة ثم صعوده إلى السماء وانتظار مجيئه الثانى المملوء مجداً .

٣ - صلوات التقديس وحلول الروح القدس ، وهو أهم جزء فى القداس .

٤ - الطلبة الأولى .

٥ - الأواشى وعددها عشرة تتخللها بعض الظلبات .

٦ - مجمع القديسين .

٧ - الترحيم .

٨ - صلوات بعد الترحيم .

٩ - مقدمة القسمة والرشومات .

١٠ - القسمة .

١١ - صلوات الخضوع سراً والتحليل .

١٢ - الرشومات الأخيرة والاعتراف .

١٣ - التوزيع .

١٤ - صلوات شكر بعد التناول .

١٥ - البركة والتسريح .

مقـــدمـة

+ قبل أن يبدأ الكاهن فى صلاة القداس يصلى صلاة الصلح ، و يوجد فى مقدمة القداس الغريغورى صلاتان للصلح :

الأولى : أيها الكائن الذى كان ...

وهى صلاة جميلة وعميقة فيها يذكر المصلى حنان الله وصلاحه الذى جعله يخلق الإنسان على صورته ومثاله و يضعه فى الجنة ، وعند سقوط الإنسان بغواية العدو الشيطان لم يأتمن الله أحداً على خلاص الإنسان يسند إليه مهمة خلاصه بل هو تجسد وقام بهذه المهمة الهامة ، وصنع الصلح بين الإنسان والله الآب بدم صليبه .

ثم يتوسل الكاهن إلى الله أن يجعله وشعبه مستحقين للتناول من هذه الأسرار المقدسة بنعمته ومسرته ومحبته الفائقة للبشر .

+ وتوجد صلاة صلح أخرى من وضع البطريرك القديس ساويرس بطريرك أنطاكية يمكن أن تقال بدل السابقة وفيها يمجد الله الجالس على العرش الشاروبيمى ، والذى تنازل بالتدبير لإجل خلاصنا و يسأله أن يمحو كل أدناسنا وسيئاتنا حتى نتناول من الأسرار الإلهية بدون دينونة .

بعد صلاة الصلح يدخل الكاهن إلى صلب القداس .

١ ـ رشومات إى أغابى وصلوات تمجيد وتسبيح :

+ يرفع الكاهن الأبروسفارين والشماس مقابله ثم يمسك اللفافة التى كانت فوق الابروسفارين بيده اليسرى . ثم يمسك اللفافة التى فوق الصينية بيده اليمنى و بها الصليب . و يعمل الرشومات الثلاثة الآتية :

١ ـ الرشم الأول على الشعب نحو الغرب وهو يقول : محبة الله الآب ، ونعمة الإبن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، وشركة وموهبة الروح القدس فلتكن مع جميعكم . يرد الشعب : ومع روحك .

٢ ـ الرشم الثانى على الخدام شرقاً وهو يقول «إرفعوا قلوبكم» فيرد الشعب : هى عند الرب .

٣ ـ الرشم الثالث على ذاته وهو يقول «فلنشكر الرب» فيرد الشعب : مستحق وعادل .

+ يضع الصليب على المذبح بعد أن يقبله ، ثم يرفع يديه إلى فوق وعليهما اللفافتان و يصلى الثلاث قطع الآتية :

القطعة الأ ولى : مستحق ومستوجب ...

وفيها يسبح الله ويمجده على صفاته الإلهية غير المدركة لأنه هو الممجد من الملائكة وكل الطغمات السمائية .

القطعة الثانية : أيها الكائن السيد الرب .

إمتداد لتسبيح الرب يسوع على بركاته الغزيرة علينا لأنه أظهر لنا نور الآب وأعطانا سر التناول المقدس ، هذا السر العظيم الذى للحياة ، وجعلنا مستأهلين للتسبيح مع السمائيين الروحانيين .

القطعة الثالثة : أنت هو القيام حولك ...

يذكر فيها أعلى الطغمات السمائية «الشاروبيم والسيرافيم» الذين يسبحون أمام الله بلا فتور يرسلون لعزته الإلهية تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا بصوت ممتلىء مجداً .

+ ثم يرد الشعب بالتسبحة الشاروبيمية «قدوس قدوس قدوس ... (أش ٦ : ٣) .

٢ ـ رشومات أجيوس الثلاثة ثم يصلى الكاهن أربع قطع فيها عرض لخلقة الإنسان وسقوطه ومجىء الرب يسوع لخلاصه بالصليب والقيامة ثم صعوده إلى السماء وانتظار مجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً :

+ يعمل الكاهن حركة تغيير فى اللفائف (١) : فيضع اللفافة التى على يده اليمنى على المذبح يساراً ثم يسحب اللفافة التى على كرسى الكأس و يضعها على يده اليمنى ثم يضع اللفافة التى على يده اليسرى على كرسى الكأس، ثم يمسك بيده اليسرى اللفافة التى على المذبح يساراً.

ثم يمسك الصليب بيده اليمنى فوق اللفافة و يعمل رشومات أجيوس الثلاثة :

الأول على نفسه وهو يقول : أجيوس .
الثانى على الخدام يميناً شرقاً وهو يقول : أجيوس .
الثالث على الشعب غرباً وهو يقول : أجيوس .

ثم يصلى الأربع قطع الآتية :

+ **القطعة الأولى :** قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس فى كل شىء ...

فيها يقدم التقديس والتسبيح لله الذى خلقنا على صورته ومثاله دون أن يكون محتاجاً إلى عبوديتنا بل لكى نتمتع بالحياة معه ونتنعم بخيراته الكثيرة، وهو فى هذه الحالة كأب غنى ينجب أبناء لكى يعيشوا فى عزة و يتمتعوا بخيراته وكلمة قدوس التى نسبح بها الله هى أعلى وأعظم كلمات التسبيح والصلاة إذ فيها كل ما يريد أن يقوله المصلى تمجيداً لله وذكراً لصفاته وكمالاته الإلهية العالية فهو قدوس لأنه عادل ورحوم ومحب وطاهر وكامل وغنى وكريم وغافر وقوى ... إلخ .

يستطرد الكاهن فى ذكر نعم الله التى أسبغها على الإنسان بعد خلقته ووضعه فى الجنة .

يذكر الكاهن بعد ذلك بأسف شديد يظهر فى الكلمات وفى اللحن أيضاً قصة سقوط الإنسان بأكله من الثمرة المحرمة وأنه جلب على نفسه حكم الموت بارادته ..

+ **القطعة الثانية :** فيها يمجد الكاهن الرب يسوع المسيح الذى حول العقوبة والموت إلى خلاص وحياة بتجسده وصلبه من أجلنا، إنه الراعى الصالح والأب

---

(١) حركة التغيير فى اللفائف هنا تشير إلى حركة أجنحة الملائكة وهو تطير وتسبح .

الحقيقى الذى سعى فى خلاصنا وتعب من أجلنا وضمد جراحاتنا وأشرق علينا كنور حقيقى ردنا من جهلنا ومن ضلالنا .

+ **القطة الثالثة :** فيها يسبح الله المتواضع الذى تنازل ليرفعنا ، الذى أخذ شكل العبد لكى يبارك طبيعتنا الجسدية وبذلك يبارك المادة ويقدسها من خلال تجسده ، الذى عمل معجزات كثيرة بدافع شفقته على الإنسان البائس ، الذى احتمل ظلم الأشرار واهانتهم له من كل الأنواع .

+ **القطعة الرابعة :** فيها يسبح الله الذى سلم نفسه للصلب والموت بكل هدوء ووداعة « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جازيها هكذا لم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) .

وبصلبه وموته أظهر عظم إهتمامه بخلاص البشر الذي هو موضوع سروره « من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) .

ثم صعد بجسده الممجد وبذلك أصعد جنسنا البشرى معه إلى السماء بعد أن أعلن أنه سيأتى فى مجد أبيه وجميع الملائكة القديسين معه ليدين المسكونة بالعدل ويعطى كل واحد كأعماله .

+ القطعة الخامسة : يقدم الكاهن أفكاره لله لكى يقدسها ويعلن أنه يلتزم بوصية الله وأقواله المقدسة لتكون كل أعماله بحسب وصية الله فشركتنا مع المسيح هى شركة صلب الذات وتبعية كاملة للمسيح حتى الموت . هو صلب من أجلنا فيجب أن نصلب ذواتنا من أجله ، هو جاء إلينا إلى الأرض ليخلصنا فعلينا أن نتبعه بكل قلوبنا وفى كل الظروف حيث ننال هذا الخلاص ونتمتع به .

وبعد ذلك يشكره لأنه أعطاه خدمة الحياة المملوءة سراً ومجداً وهى خدمة الكهنوت واصعاد الذبيحة الإلهية غير الدموية .

٣ ـ الرشومات أى صلوات التقديس وحلول الروح القدس والتحول :

+ هذا القسم هو أهم قسم فى القداس لأن فيه يحل الروح القدس و يتم بطريقة سرية غير مدركة تحويل الخبز إلى جسد المسيح والمزيج الذى فى الكأس إلى دم المسيح .

+ يبخر الكاهن يديه ثلاث مرات استعداداً لمسك وتقديس الأسرار وهو يقول : لأنك فى الليلة ... ثم يمسك القربانة وهو يقول : أخذت خبزاً ...

+ يرفع الكاهن نظره إلى فوق وهو يقول « ونظرت إلى فوق ...

ثم يرشم القربانة ثلاث رشومات قائلاً « وشكرت . و باركته . وقدسته .

+ يقسم الكاهن القربانة ثلثين «إلى اليسار) وثلثاً (إلى أليمين) من غير فصل وهو يقول « وقسمته ...

وتقسيم القربانة ثلث وثلثين ، لأن الكاهن سيقوم أثناء القسمة بتقسيم الثلثين الآخرين فتكون ثلاثة أثلاث على اسم الثالوث الأقدس و بحسب ما هى مقسمة أصلاً بالثقوب الموجودة فيها .

ورأى آخر يقول أن الثلث يرمز إلى الثلاث والثلاثين سنة وثلث التى عاشها السيد المسيح على الأرض وهى $\frac{١}{٣}$ العدد الكامل ١٠٠ .

+ يضع الكاهن اصبعه على الكأس و يقول :

هكذا أيضاً بعد أن أكلوا ...

ثم يرشم باصبعه على الكأس ثلاث رشوم وهو يقول :

وشكرت . و باركتها . وقدستها .

+ يمسك الكاهن الكأس و يقول « وذقت (هنا ينفخ فى الكأس) و يكمل قائلاً وأعطيتها أيضاً لتلاميذك ...

وعند قوله «خذوا اشربوا منها كلكم، يميلها إلى ناحية الغرب ثم إلى ناحية الشرق، ثم يميلها إلى ناحية الشمال ثم اليمين، لأنه بالدم المسفوك على الصليب كنا غرباء وبعيدين فصرنا قريبين وكنا فى الشمال مع المرفوضين فأصبحنا مع أهل اليمين المقبولين.

+ يشير الكاهن بيديه إلى الخبز والخمر وهو يقول «لأن كل مرة...» وهى نفس كلمات السيد المسيح التى قالها عند تأسيس السر.

+ وبعد ذلك يقول قطعة «فإذاً يا سيدنا... فى آخرها يقول الشماس «**اسجدوا للحمل كلمة الآب**» فيسجد الشعب كله إستعداداً لحلول الروح القدس ويسجد الكاهن أيضاً باسطاً يديه على المذبح فى وضع الصلاة والتوسل ويصلى سراً سر حلول الروح القدس «انت يا سيدنا بصوتك حول هذين الموضوعين... إلخ».

+ يقوم الكاهن ويرشم الخبز ثلاث رشومات سريعة وهو يقول :

«وهذا الخبز تجعله جسداً مقدساً لك».

+ ثم يسجد ويقول : «ياربنا وإلهنا ... ... إلخ.

+ ينهض ثانية ويرشم الكأس ثلاثة رشومات سريعة وهو يقول :

«وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً لعهدك الجديد ...»

+ ثم يسجد ويقول «ياربنا وإلهنا ... إلخ

+ ثم ينهض ويقول «يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه».

+ يقول الشعب آمين يارب ارحم.

بذلك انتهت الرشومات والتقديس، وتم تحول الخبز إلى جسد المسيح، والمزيج الذى فى الكأس إلى دم المسيح.

٤ ـ الطلبة الأولى

يأخذ الكاهن اللفافتين على يديه و يرفعهما إلى أعلى و يقول هذه الطلبة ويجاوبه الشعب بعد كل ربع «يارب ارحم».

+ نعم نسألك أيها المسيح إلهنا ثبت أساس الكنيسة ... إلخ. وهى طلبة عميقة ومؤثرة.

٥ ـ الأواشى

عدد الأواشى التى بعد التقديس فى القداس الغريورى عشرة أواشى، وهى كالآتى:

١ ـ **أوشية سلام الكنيسة :** أذكر يارب سلام كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

٢ ـ **أوشية البطريرك :** و بالأكثر بطريركنا الآب المكرم الأنبا (...).

٣ ـ **الأساقفة والكهنة :** الاساقفة والقمامصة والقسوس والشمامسة والايبوذياكونيين.

٤ ـ **الملوك :** اذكر يارب الذين تملكوا فى التقوى والذين هم الآن ملوك.

٥ ـ **الذين فى البلاط :** اذكر يارب اخوتنا المؤمنين الأرثوذكسيين الذين فى البلاط وجميع الجنود.

تطلب الكنيسة عن الذين فى البلاط الملكى أصحاب المراكز الهامة والحساسة وعن الجنود الذين يحرسون الأمن و يدافعون عن البلاد.

٦ ـ **القرابين :** اذكر يارب الذين قدموا لك هذه القرابين والذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم أعطهم كلهم الأجر السمائى.

والقرابين هى كل ما يقرب لله من عطايا وتقدمات من كل نوع لسد احتياجات

الكنيسة وفقرائها .

٧ ـ **أوشية المسبيين :** اذكر يارب الساكنين فى الجبال والمقابر واخوتنا المسبيين .

٨ ـ **أوشية الكاهن الخديم :** و يقولها سراً وهو خاضع برأسه أمام الرب « اذكر يارب ضعفى أنا أيضاً واغفر لى خطاياى ... إلخ » . وبعدها يقول لحن « بيك لاؤس غار» وهو لحن جميل ومنعش وطلبة قوية ومؤثرة على أن يكرر فيها الكاهن والشعب « ارحمنا يا الله مخلصنا » لأن هذا القداس موجه للإبن .

أوشية المياة أو الزروع أو الأهوية : ولكل واحدة مواعيدها كما ذكر فى القداس الباسيلى . وبعدها تقال الطلبة الثانية « شفاء للمرضى . راحة للمعوزين ... إلخ . وبعد كل ربع يرد الشعب « يارب ارحم » .

١٠ ـ **أوشية الموضع :** اذكر يارب هذا الموضع المقدس الذى لك وكل المواضع وكل أديرة آبائنا الأرثوذكسيين ... إلى آخرها .

٦ ـ مجمع القديسين

+ وهو أصغر نسبياً من مجمع القديسين بالقداس الباسيلى ويحوى حوالى ٢٢ إسماً إلى جانب رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين والانجيليين والشهداء والمعترفين وأرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان .

+ فرصة جميلة أثناء تلاوة المجمع أن يتذكر المصلى سيرة وحياة بعض قديسى المجمع أو بعض أقوالهم حسب وصية الرسول « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظرا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم . يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ٧ ، ٨) كما عمل فيهم ومعهم يستطيع أن يعمل فيكم ومعكم لكى تكونوا قديسين وبلا لوم أمامه .

٧ ـ الترحيم

يقول الكاهن سراً : اذكر يارب آباءنا واخوتنا الذين سبق رقادهم فى الإيمان الأرثوذكسى نيحهم جميعهم مع هؤلاء الذين تذكر اسماؤهم (ثم يذكر أسماء من يريد أن يذكرهم من الراقدين) .

ثم يكمل الكاهن : تفضل يارب نيح نفوسهم جميعاً ... فى نور قديسيك . كل هذا يقوله الكاهن سراً وهو يضع البخور فى المجمرة بأسماء من يذكرهم من الراقدين . أو يقول جهراً الترحيم المعروف بلحنه الحزين (أووه ناى نيم) و يكمله بذكر أسماء الراقدين مع وضع البخور فى المجمرة .

٨ـ صلوات بعد الترحيم

١ـ اذكر يارب الآخرين ...

يطلب عن الراقدين والأحياء الذين ذكرهم والذين لم يذكرهم حسب صلاح الله ومحبته للبشر لأنه يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١تى ٢ : ٤) .

٢ـ لأنك أنت هو الله الرحوم ...

٣ـ كى و بهذا كما أيضاً ...

٩ـ مقدمة القسمة والرشومات

+ يصلى الكاهن قطعة يا سيدنا ومخلصنا ... إلخ .

+ ثم يمسك الجسد بيده اليمنى و يضعه فى يده اليسرى ثم يغمس طرف سبابة يده اليمنى فى الدم داخل الكأس و يرشم بها الدم على مثال الصليب وهو يقول :

يا الذى بارك فى ذلك الزمان الآن أيضاً يارب بارك .

+ يرفع اصبعه من الكأس و يرشم به الجسد من أعلى ومن أسفل وهو يقول :

يا الذى قدس فى ذلك الزمان الآن أيضاً قدس .

+ يقسم الجسد ثلث وثلثين بدون فصل وهو يقول :

يا الذى قسم فى ذلك الزمان الآن أيضاً قسم .

يفصل الثلث الأيمن و يضعه على الثلثين على مثال الصليب وهو يقول :

يا الذى أعطى ...

ملحوظة : هنا يقول الشعب « يارب ارحم » .

ولكن تعود بعض المرتلين أن يقولوا هنا : نسجد لجسدك المقدس ولدمك الكريم يارب ارحم .

على مثال ما يقال فى القداس الباسيلى ، ولكن هذا خطأ يجب الاقلاع عنه لأنه لا توجد هذه العبارات فى القداس الغريغورى .

+ مقدمة القسمة والرشومات الغريغورى لها لحن جميل محبب للنفس يميل للفرح ، وترددد الكنيسة كلها مرده « آمين » ليتك تصليه يا أخى بعمق وروحانية .

١٠ ـ القسمة

+ يقول الكاهن : إيرينى باسى : السلام للكل .

ثم يبدأ فى تلاوة صلاة القسمة وبعد كل ربع يقول الشعب : كيرياليصون كيرياليصون يارب ارحم .

وتوجد صلوات قسم كثيرة منها السنوى ومنها الخاص لصوم الميلاد وعيد الميلاد والصوم الكبير وعيد القيامة والخمسين المقدسة وصوم الرسل وأعياد العذراء والملائكة وغيرها الكثير.

+ صلوات القسمة مع تقسيم الجسد تضعنا وجهاً لوجه أمام الجلجثة حيث صليب رب المجد وآلامه الشافية المحيية والغافرة لكل خطيئة .

ليتك يا أخى تتذكر موقف الصلب أثناء القسمة وتتضرع إلى المصلوب من كل قلبك طالباً الرحمة وغفران الخطايا .

١١ ـ صلوات الخضوع والتحليل

+ وهى صلوات تقال سراً، وهى نفس الصلوات والتحليل التى تقال فى نهاية رفع بخور عشية وباكر .

١ ـ نعم يارب يارب ٢ ـ أنت يارب ٣ ـ أيها السيد الرب يسوع المسيح (الخولاجى الكبير ص ١٢٢ ـ ١٢٣) .

+ وبعدها يذكر الكاهن من يريد أن يذكرهم بأسمائهم ويصلى من أجلهم، ثم يذكر نفسه وضعفه.

ثم يصلى مقدمة أوشية السلام والآباء سراً.

+ يصلى مقدمة أوشية الاجتماعات جهراً: اذكر يارب اجتماعاتنا باركها. فيجاوبه الشماس: خلصت حقاً مع روحك ننصت بخوف الله.

١٢ ـ الرشومات الأخيرة والاعتراف

+ يأخذ الكاهن الاسباديكون ويرفعه إلى فوق وهو مطامن الرأس (مطأطىء) صارخاً قائلاً:

القدسات للقديسين ...إلخ.

+ يكمل بقية الرشومات بنفس نظام القداس الباسيلى.

+ يقول الكاهن الاعتراف وهو رافع الصينية على يديه بها الجسد الطاهر، والاعتراف هنا كله بلغة المخاطب: أخذته. جعلته. سلمته... لأنه يخاطب الابن الرب يسوع المسيح الذى أسس بنفسه هذا السر العظيم.

١٣ ـ التوزيع

+ يوزع الجسد المقدس ثم يوزع الدم الكريم.

+ يتناول أولاً الكهنة الخدام ثم الكهنة غير الخدام، يتناول بعد ذلك الشمامسة الخدام ثم الشمامسة غير الخدام، ثم يتناول الشعب، الرجال أولاً ثم النساء كل فى المكان المخصص له.

+ عملية التوزيع واختفاء الجسد المقدس من أمام أعيننا ترمز إلى صعود المخلص إلى السماء واختفائه عن أعين تلاميذه لكنه حسب وعده هو معنا «كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠).

١٤ـ صلوات شكر بعد التناول

١ ـ نشكرك أيها السيد المسيح إلهنا.. إلخ
٢ ـ نشكرك ياأبانا القدوس خالق الكل ... إلخ .
٣ ـ أيها الكائن الذى كان الذى أتى وأيضاً يأتى ... إلخ .

فى هذه الصلوات يشكر الكاهن الله على نعمة التناول من الأسرار المقدسة و يسأل الله أن يبارك فى شعبه وأن يحفظهم بيده القوية و يثبتهم فى الإيمان المستقيم وأن يعطيهم الكمال المسيحى الذى يرضيه .

+ وتقال هذه الصلوات سراً .

١٥ـ البركة والتسريح

بعد أن يصرف الكاهن ملاك الذبيحة يصلى البركة ثم يعطى التسريح للشعب لينصرفوا ويمضوا بسلام إلى منازلهم شاكرين الرب على نعمة حضورهم القداس وسماعهم التعاليم المقدسة وفرصة الصلاة والشركة مع الله ثم التناول من أسراره الإلهية التى هى ثبات فى المسيح وعربون الحياة الأبدية .

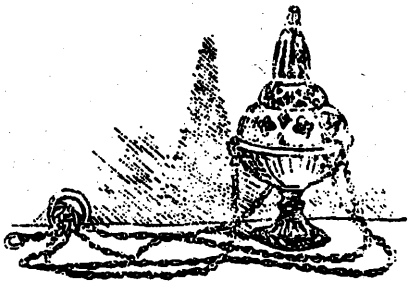

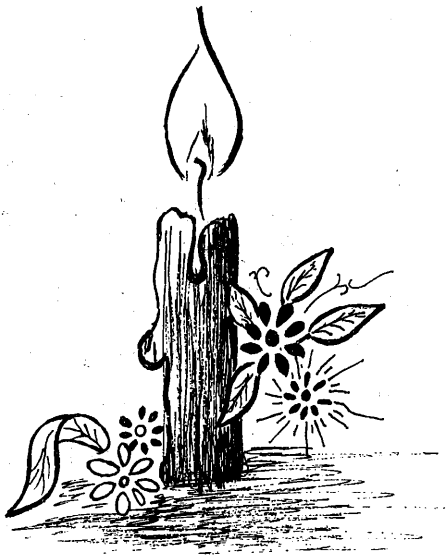

القداس الكيرلسى

سيرة القديس ناظر الإله الإنجيلى
مرقس الرسول كاروز الديار المصرية

يهودى له صفة أممية :

القديس مرقس يهودى من سبط لاوى (١) بشر بين اليهود والأمم، وبين الأمم بالأكثر. وهو يحمل إسمين : إسماً يهودياً (يوحنا)، وإسماً أممياً (مرقس)، وإسمه الأممى هو الأكثر شهرة. وعلى الرغم من أنه يهودى الأصل، إلا أنه ولد فى إقليم أممى، فى قارة أفريقيا. **فهو إذن رسول إفريقى المولد**، ولد فى كيرين (القيروان) Cyrene إحدى الخمس مدن الغربية فى إقليم ليبيا، فى بلدة تدعى إبرياتولس (٢).

إســمـان :

إسمه اليهودى (يوحنا) معناه الله حنان أو الله حنون (٣) وقد دعى بهذا الإسم وحده فى موضوعين من سفر أعمال الرسل (٤).

وإسمه الرومانى (مرقس) معناه (مطرقة) (٣). ولم يكن هذا الإسم مألوفاً بين اليهود (٥). وتاريخ يوسيفوس كله لم يذكر فيه بهذا الإسم سوى يهودى واحد هو إبن أخى فيلو (٦). وقد دعى رسولنا باسم مرقس وحده فى كل رسائل القديس بولس (٧)

---

(١) Les Saints d' Egypte p. 495 ، منسى يوحنا ص ٥ .

(٢) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، السيرة الأولى . وقيل أنه ولد فى أدرنا بولس (درنة حالياً Darnis)

(٣) Schaff : History of the Christian Church, Vol. 1, 628 .

(٤) أع ١٣ : ٥ ، ١٣ .

(٥) Hastings, : Dict. of the Bible p. 245 .

(٦) Ant. 18 : 8 ; 1 and 19 : 5 : 1 .

(٧) كو ٤ : ١٠ ، فليمون ٢٤ ، ٢تى ٤ : ١١ .

والقديس بطرس (٨) وفى سفر أعمال الرسل (٩) .

على أنه فى ثلاثة شواهد من أعمال الرسل (١٠) اجتمع له الاسمان معاً، أو الاسم واللقب. فقيل عنه «يوحنا الملقب مرقس» أو «يوحنا الذى يدعى مرقس»..

اسرة متدينة :

نشأ مرقس فى أسرة متدينة ، كان لكثير من أفرادها صلة بالسيد المسيح نفسه .

فأمه مريم ؛ كنت إحدى المريمات اللائى تبعن المسيح وكانت إحدى المريمات اللائى ذهبن إلى القبر. وكان بيتها مكاناً لصلاة المؤمنين واجتماعاتهم فى عصر الرسل (١١) . وكانت هذه المرأة التقية ذات اعتبار بين المسيحين الأولين (١٢)..

وأبوه ارسطوبولس هو إبن عم أو إبن عمة زوجة بطرس الرسول.

والقديس مرقس يمت أيضاً بصلة قرابة للقديس برنابا الرسول أحد التلاميذ السبعين (١٣) . وفى ذلك قال بولس الرسول لأهل كولوسى «يسلم عليكم أرسترخس المأسور معى ، ومرقس إبن اخت برنابا» (١٤) .

والأنبا يوساب أسقف فوه فى كتابه (تاريخ البطاركة) يذكر أن مارمرقس يمت أيضاً بصلة قرابة لتوما الرسول ...

هذه الأسرة المتدينة ذات الصلة الوطيدة بالسيد المسيح أوجدت وسطاً دينياً صالحاً نشأ فيه الشاب مرقس.

---

(٨) ١بط ٥ : ١٣ .

(٩) أع ١٥ : ٣٩ .

(١٠) أع ١٢ : ١٢ ، أع ١٢ : ٢٥ ، أع ١٥ : ٣٧ .

(١١) أع ١٢ : ١٢ .

(١٢) جورج بوست : قاموس الكتاب ج ٢ ص ٢٢٦ .

(١٣) إبن كبر: مصباح الظلمة : الكتاب الرابع .

(١٤) كو٤ : ١٠ .

وقد ذكر الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين فى تاريخه المشهور لبطاركة الأسكندرية . أن مرقس الرسول ولد من أبوين تقيين عارفين بالناموس والأنبياء .

أما خاله برنابا ، فكان من أول الذين باعوا أملاكهم وعاشوا حياة الشركة مع الرسل . وفى ذلك يقول الكتاب « ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا ـ الذى يترجم إبن الوعظ ـ وهو لاوى (١٥) قبرصى الجنس ، إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل » (١٦) . وقد شهد له سفر أعمال الرسل بأنه « كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان » (١٧) . وقد اختاره الروح القدس لعمل الكرازة مع بولس ، حينما قال الروح للرسل « افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه » (١٨) .

مع برنابا هذا ، المملوء من الروح القدس والإيمان ، ومع بولس العظيم ، خدم يوحنا مرقس . وعلى حد تعبير الكتاب « وكان معهما يوحنا خادماً » (١٩) .

مولده ونشأته :

ولد يوحنا فى القيروان فى الخمس مدن الغربية ، حيث كان يعيش أبوه وعمه . وكانا غنيين ويشتغلان بالزراعة . كما كانت أمه موسرة ، لذلك أحسنت تثقيفه ، وعلمته اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية (٢٠) ، فأتقنها جميعاً وبرع فيها (٢١) . وكذلك ثقفته من الناحية الدينية ، فدرس كتب الناموس والأنبياء . **ولعله بسبب هذه الثقافة الواسعة التى تمتع بها مرقس يظن البعض أنه كان مترجماً لبطرس الرسول فى كرازته (!!) مما سنرجع إليه فيما بعد .**

---

(١٥) لعل هذا مما يثبت أيضاً أن مرقس كان هو أيضاً من سبط لاوى .

(١٦) أع ٤ : ٣٦ .

(١٧) أع ١١ : ٢٤ .

(١٨) أع ١٣ : ٢ .

(١٩) أع ١٣ : ٥ .

(٢٠) سنكسار ٣٠ برموده .

(٢١) كما يروى أنبا ساويرس أسقف نستروه (من القرن التاسع) .

ويقول التاريخ أن بعض القبائل الهمجية المتبربرة هجمت على أملاك أسرته فى القيروان ونهبتها، وكان ذلك فى عهد أوغسطوس قيصر، فاضطرت هذه الأسرة الصالحة إلى الهجرة، **فهاجرت إلى فلسطين. وكانت قد** استقرت هناك عندما بدأ السيد المسيح خدمته (٢٢).

هكذا رأى مرقس السيد المسيح، وانضم إليه، وصار من تلاميذه. كذلك تبعت الرب مريم أم مرقس، واستضافته فى بيتها، وكانت من النسوة اللائى خدمنه. ويقول التقليد أن مرقس اشترك فى عرس قانا الجليل حيث عمل الرب أولى معجزاته (٢٣). وكان من التلاميذ الذين استقوا من الماء المتحول خمراً (٢٤).

كرازته:

بدأ مارمرقس كرازته وهو شاب صغير، بدأ أولاً مع بطرس الرسول فى أورشليم واليهودية، ثم صاحب الرسولين بولس وبرنابا فى رحلتهما التبشيرية الأولى (أع ١٢)..

بعد ذلك خدم مع خاله برنابا فى قبرص (أع ١٥ : ٣٩) بشر مارمرقس بعد ذلك فى الخمس مدن الغربية (ليبيا حالياً) مسقط رأسه ومنها جاء إلى الأسكندرية حوالى سنة ٦١م. وظل يكرز فى مصر حتى استشهاده سنة ٦٨م. وقد كتب مارمرقس الرسول انجيله المسمى باسمه ولذلك يسمى مارمرقس الانجيلى.

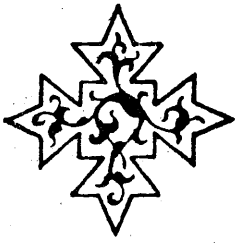

---

(٢٢) ساويريس بن المقفع: تاريخ بطاركة.

(٢٣) يوحنا ٢.

(٢٤) إبن كبر: مصباح الظلمة: الكتاب الرابع.

استشهاد القديس مارمرقس

بغض الوثنيين لمارمرقس :

وكان الوثنيون يبغضونه بغضاً شديداً، كلما رأوا نجاح عمله فى الكرازة بالمسيح وكثرة أتباع الناس له. وكانوا يخافون خوفاً شديداً من خطر هذا الغريب الذى زعزع ديانتهم. كما خشيت خطره أيضاً الحكومة الرومانية. إذ كان هناك أعتقاد أنه إن ضاعت الوثنية ضاعت معها حكومتهم. لذلك عقدوا النية على التخلص منه، ظناً منهم أنهم بقتله يبيدون المسيحية معه. **وهكذا كانوا يتحينون الفرصة للفتك به.**

القبض على القديس :

حدث ذلك فى سنة ٦٨م، فى السنة الرابعة عشرة لحكم نيرون الظالم، فى يوم ٢٩ برموده، حيث كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح (القيامة) فى كنيسة بوكاليا. **وقد تصادف أن نفس ذلك اليوم كان هو يوم الاحتفال الوثنى العظيم بعيد الإله سيرابيس ذى الشهرة** الكبيرة الذى كان يشترك فى الاحتفال به المصريون واليونانيون على السواء، وكانت الاحتفالات تقام فى معبده وتزدان بها باقى المعابد ...

وفى ذلك اليوم استشاط الوثنيون غضباً. وتجمعوا لقتل مارمرقس. أما لأن عيدهم فى تلك السنة كان فاتراً بالقياس إلى عيد المسيحيين، نظراً لتحول كثير من الوثنيين إلى المسيحية (١). وأما لأن مارمرقس جاهر بتقبيح العبادات الوثنية فأهاج سخط الوثنين فى الإسكندرية (٢).

لذلك هيج الوثنيون الشعب، وأهاجوا الحكام أيضاً ضده. فتجمهرت جماعة منهم، وهجموا على كنيسة بوكاليا واقتحموها، حيث وجدوا القديس مكملاً الذبيحة الإلهية فشتتوا المسيحيين، **وقبضوا على القديس مرقس. وربطوه بحبل ضخم، وجروه فى**

---

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة، السيرة الأولى.

(٢) مدام بوتشر : قصة الكنيسة القبطية ج ١ ص ٢٨، منسى يوحنا ص ١٣.

الشوراع والطرقات، وهم يصيحون «جروا التنين إلى دار البقر».

وظلوا يسحبونه بقساوة عظيمة، وجسمه يرتطم بالأحجار على الأرض، حتى انصبغت الأرض بدمه، وتمزق لحمه وتناثر هنا وهناك. وخلال ذلك كان القديس يسبح الله و يشكره على أنه جعله أهلاً لأن يتألم من أجله اسمه (٣).

ولما تعبوا من جره وتعذيبه، ألقوه تلك الليلة مهشماً فى سجن مظلم، إلى أن يتشاوروا بأية وسيلة يميتونه.

رؤى وتعزيات فى السجن: (٤)

قضى مارمرقس تلك الليلة فى السجن، مهشم الجسد، ولكن نفسه كانت عالقة بالرب. فكان يصلى فى السجن، ولا يفكر إلا فى اللقاء بإلهه. ولم يتركه الله وحده.

ففى نصف الليل ظهر له ملاك، ولمسه وقواه قائلاً: «يا مرقس، أيها الخادم الصالح: قد أتت ساعتك، وستنال مكافأتك حالاً» (٥) «تشجع فقد كتبَ إسمك فى سفر الحياة» فتعزى القديس، ورفع يديه نحو السماء وقال «اشكرك يا مخلصى يسوع الذى لم تتخل عنى أبداً، و وضعتنى فى عداد الذين نالوا رحمتك».

وما أن توارى عنه الملاك، حتى ظهر له المخلص. واعطاه السلام، وقال له «يا مرقس، يا تلميذى، يا انجيلى، ليكن السلام لك» (٦). فصرخ التليمذ قائلاً

---

(٣) مكسيموس مظلوم: الكنز الثمين فى أخبار القديسين ج ٢ ص ٥٥٢.

(٤) قال العلامة الدكتور نروتزوس أحد مديرى المتحف الرومانى بالأسكندرية «إن المكان الذى سجن فيه القديس مرقس ليلاً بعد أن جروه بالحبل فى يوم ٢٩ برموده سنة ٦٨م، هو نفس السجن الذى ظلت آثاره باقية إلى عهد دخول الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت مدينة الأسكندرية، بجانب كنيسة يوحنا واليشع النبى القديمة التى حل مكانها الآن جامع النبى دانيال فى آخر الشارع الذى يحمل إسم هذا النبى». وقد ورد ذكر هذا السجن ومكانه فى سيرة القديس بطرس خاتم الشهداء (البابا ١٧) وقيل إنه واقع بالقرب من كنيسة بوكاليا حسبما رواه ساو يرس بن المقفع.

(٥) Chineau, Les Saints d'Egypte, Vol. 1, p. 506 (انظر كامل صالح نخله ص ١٠٨) وسليم سليمان (فرنسيس العتر): مختصر تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٨٢.

(٦) نفس المرجعين السابقين، إبن المقفع (السيرة الأولى)، سنكسار ٢٩ برموده، وإيريس المصرى ص ٢٧. ومروج الأخبار ص ٢٣٤.

«يا سيدى يسوع». وعندئذ اختفت الرؤيا، ففرح وتعزى، واستعد قلبه لملاقاة الرب.

استشهاد القديس ودفنه:

وفى صباح الغد (٣٠ برموده) رجع الوثنيون مرة أخرى، وأخذوا مارمرقس من السجن، وربطوا عنقه بحبل غليظ، وظلوا يعيدون الكرة كاليوم السابق فى جره وسحبه على الأحجار. **وهو فى كل ذلك يصلى من أجلهم ويطلب لهم المغفرة.** (٦).

وأخيراً استودع القديس روحه الطاهرة فى يد الله، ونال إكليل الشهادة، واكليل الرسولية، واكليل البشارة، واكليل البتولية (٧).

على أن موته لم يهدىء ثائرة الوثنيين وحقدهم، ففكروا فى حرقه أيضاً، إمعاناً فى التنكيل به. فجمعوا حطباً كثيراً، وأعدوا ناراً لحرقه (٨). ولكن فى اللحظة التى أوشكوا فيها أن يلقوا فيها بالجسد ليحترق، هبت عاصفة شديدة مصحوبة بمطر غزير، فتفرق الشعب، وانطفأت النيران (٦).

وأتى جماعة من المؤمنين الباسلين، فأخذوا جسد أبيهم فى الإيمان، وحملوه إلى كنيسة بوكاليا، ووضعوه فى تابوت، حيث صلى عليه خليفته القديس انيانوس (٩) مع الاكليروس وكل الشعب. وتبارك الجميع منه.

ودفنوه فى قبر نحتوه له فى تلك الكنيسة، فى الجانب الشرقى منها. ولقبت الكنيسة باسم القديس مرقس.

والكنيسة المقدسة تعيد لاستشهاد القديس يوم ٣٠ برموده، بينما تعيد

---

(٧) ذكر إبن كبر (الفصل الرابع) أن القديس كان بتولاً، وكذلك أنبا ساويرس أسقف نستروه.

(٨) المكان الذى أعدوا فيه الحطب لحرق القديس هو المكان الذى عرف باسم الأفانجليون εὐαγγέλιον أو الأنجيليون.

وقال عنه أميلينو فى كتابه عن جغرافية مصر فى العهد القبطى، أنه كان فى الجهة الغربية من المدينة وقال العلامة كاترمير Quatremère أنه فى جهة عامود السوارى. وأن جسد القديس الذى سلم من الحريق بمعجزة، تنقل من هذه الجهة إلى دار البقر حيث وضع فى الكنيسة.. (انظر كامل صالح نخله ص ١١٠ وص ١١١).

(٩) مختصر تاريخ الكنيسة القبطية (فرنسيس العتر) ص ٢٨٣.

الكنائس الغربية فى يوم ٢٥ ابريل (٢٥ نيسان).

وحسبما ورد فى شينو يكون عمره عند استشهاده ٥٨ سنة.

بركة صلواته فلتكن معنا آمين.

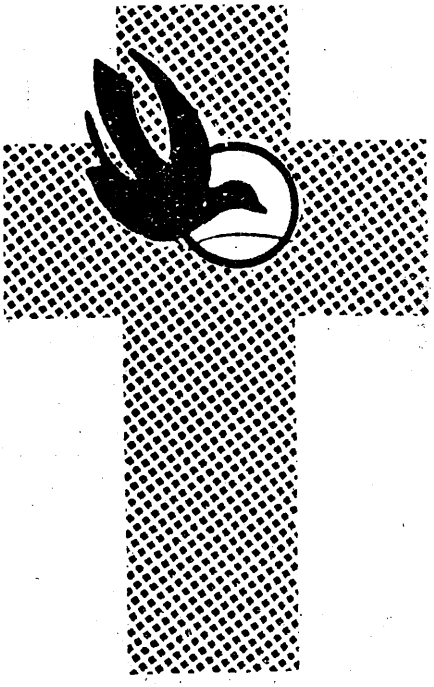

سيرة القديس كيرلس الأول عامود الدين

اسرته :

« ... أما أنا وبيتى فنعبد الرب ... »

(يشوع ٢٤ : ٥)

فى آواخر القرن الثالث الميلادى : هناك فى عاصمة مصر القديمة فى ذاك الحين « ممفيس » Memphis أو منف (١) والتى تدعى أحياناً أركاديا Arcadia وتسمى الآن ميت رهينة (جنوبى القاهرة بالجيزة) (٢) عاشت أسرة مصرية مسيحية مكونة من الوالدين وابن وابنة . والتاريخ يجهل اسم الوالدين وكذلك اسم الإبنة ـ التى هى والدة القديس كيرلس . ولم يذكر التاريخ سوى الابن و يدعى ثيئوفيلوس (أى المحبوب من الله) .

وكانت هذه الأسرة المسيحية عريقة فى الإيمان ، كما كانت غنية ميسورة الحال ، ومن ذوى المكانة فى العاصمة .. ، حتى أنها ارضعت طفليها لبان مبادىء المسيحية المثلى منذ نشأتهما ، كما كانت تملك جارية أثيوبية وثنية المعتقد ، غير أنها قد تشبعت بالتعاليم المسيحية ... ، وكانت هذه المربية تشرف على تربية تيئوفيلوس وشقيقته الصغرى كما دأبت على غرس التعاليم المسيحية فى قلب كل من الطفلين منذ حداثتهما .

واقتضت أرادة الرب أن ينتقل الوالدان إلى السماء ، وتيتم الطفلان وكان لسان حالهما قول المرنم داود « أن أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى » (مز ٢٧ : ١٠) .

وقد ذكر المؤرخ الأثرى هنرى مونييه Munier (٣) ، نقلاً عن النص التاريخى

---

(١) منف مدينة مصرية قديمة ، ورد ذكرها فى الكتاب المقدس باسم نوف (١ش ١٩ : ١٣) ، ارميا ٢ : ١٦ ، ٤٦ : ١٤ - ١٩ ، وسميت ممفيس فى العصر اليونانى والرومانى .

(٢) تقع ميت رهينة على بعد اربعين كيلوجنوبى القاهرة وهى أول عاصمة لمصر لمدة ألف عام

Durand : St. Cyrille De Alex 1964

(٣) كريليانا (ص ١٩٩ - ٢٠١) ، قصة الكنيسة القبطية ج ١ : ٣٤٦ ، ٣١٧ : ايريس المصرى .

الأثيوبى للمؤرخ القبطى يوحنا أسقف نيقيوس ، أنه بعد انتقال الوالدين ظلت المربية الأثيوبية مع الطفلين ـ أمينة على عهدها السابق لوالديها قبل انتقالهما ، بأن تظل ترعاهما ، حيث أنها كانت تحبهم وتحنو عليهما .

ويحدثنا التاريخ أن هذه المربية الأثيوبية قد استصحبت ذات يوم ثيئوفيلوس وأخته الصغيرة إلى ممفيس للصلاة هناك بمعبد الإله المرذول « ارطاميس وأبولون » حسب معتقد الوثنيين الخاطىء . وحدث بمجرد دخول الجارية والطفلين إلى المعبد أن سقطت الأصنام على الأرض وتحطمت ، مما جعل الجارية تتوقع انتقام كهنة الأصنام الأردياء ، لكنهم طلبوا منها الهروب وهجرة الأطفال إلى نيقيوس ثم الانتقال بهما إلى مدينة الاسكندرية .

وبارشاد الروح وتدبير العناية الإلهية توجهت الجارية مع الطفلين إلى كنيسة السيدة العذراء بمدينة الأسكندرية لكى تتعرف على هذا الدين الذى طرقت شهرته كل الآذان ، وتصادف أن البابا أثناسيوس الرسولى موجوداً بالكنيسة للصلاة بها . فاستلفت نظره دخول هذه المرأة الأثيوبية معهما وجلوسهم بالقرب من المنبر ، ولهذا كلف أحد الشمامسة بالتنبيه عليهما بالأنتظار حتى نهاية القداس لمقابلته .

لما مثلت المرأة أمام البطريرك بادرها بالاستفسار منها عن سبب توجهها لمعبد الأصنام مع الطفلين ... ، وكيف أن عناية الله قد جعلتها تشاهد سقوط الأصنام وتحطيمها لكى تقودها إلى الكنيسة ... وكانت الجارية فى غاية الدهشة كيف [illegible] للبابا البطريرك معرفة هذا السر الذى حدث هناك فى المعبد بممفيس !! الأمر الذى لم تستطع معه انكار تصرفها بل جعلها تخر ساجدة عند قدميه ملتمسة منه أن يعرفها بالتعاليم المسيحية وأن يقبلها لكى تصير مسيحية ... ، وبعد أن تفهم البابا حقيقة أمرها ووضع الطفلين معها قام بعمادهم فاستناروا جداً بنوال نعمة الميلاد الجديد ، وتعهد البطريرك برعاية الصغيرين ولما كبرا قليلاً وضع الطفل ثيئوفيلوس تحت رعايته الأبوية الخاصة بتعليمه وارشاده ، ووضع شقيقته فى أحد أديرة العذارى ، ولبثت به حتى تم زواجها من رجل مسيحى من قرية محلة البرج التى تدعى ديدوسيا Di dousey,a والتى لا تبعد عنها أكثر من نصف كيلومتر و يفصلها عنها كوم الواقع Kom El Waqa,a

والتى كانت تعد إحدى الضواحى الأربع الرئيسية للمحلة الكبرى، وقد تم تدميرها أثناء فتوحات الحملة الفرنسية (٤).

مولـده:

يرجح البعض بأن كيرلس ولد فى مدينة الإسكندرية (٥)، ولكن الثابت كما روى المؤرخ الكنسى القبطى يوحنا أسقف نيقيوس Nikious (٦) - وهو المصدر الوحيد للمعلومات عن مكان ميلاده وحداثته - من أن والدة كيرلس قد تركت دير العذارى بعد أن تم زواجها من رجل مسيحى من قرية .ج والتى كانت تعتبر جزءاً من مدينة المحلة الكبرى كما سبق الاشارة... وهناك عاشت ورزقت بابنها كيرلس الذى صار فيما بعد بنعمة الله البابا البطريرك الأسكندرى الرابع والعشرين خلفاً لخاله ثيئوفيلوس البابا الأسكندرى الثالث والعشرين.

و يرى «كامبنهوزن» (٧) الأستاذ بجامعة هايدلبيرج Heidelberg أنه فى صعوبة الحصول على أية معلومات للكشف عن أيام حداثة وشباب كيرلس، ما يجعل فى شخصه الطابع المصرى، إذ أن المصريين ما كانوا يهتمون بالحقائق عن نشأة وحداثة الشباب وكيفية تثقيفهم...

---

(٤) وقد أكدت هذه الحقيقة الوثائق التاريخية للدلتا كما ذكر المؤرخ ديرزى Darsey وحسب تعليق العالم الفرنسى مانوار. وقد أيد صحتها الفهرست الذى قامت بنشره مصلحة المساحة العمومية عام ١٩٣٢م، من أن دنوسا Denousa بيكيس Pixis أو نيكيس Nixis كلها اسماء لأقليم واحد يسمى دنوسا وهى محلة البرج السابق الأشارة إليها، وهى تعتبر الآن جزءاً من مدينة المحلة الكبرى (كريليانا ص ٢٠٠، ٢٠١ Crum Coptic Dictionary).

(٥) كريليانا ص ٨١، Quasten p. 116.

(٦) مدينة نيقيوس تشغل حالياً زاوية رزين بالمنوفية.

(٧) Campenheusen P. 159

نشأته الأولى (١)

«وأنك منذ الطفولة تعرف الكتب القادرة على تحكمك للخلاص».

(تيموثيئوس الثانية ٣ : ٥)

يعتبر المؤرخ سقراط الذى كان معاصراً لكيرلس الأسكندرى، المصدر الذى استقى منه الكثيرون المعلومات عن نشأته وحياته الأولى.

وكان لنشأة الرجل الأولى المقدسة من أسرة مسيحية بالروح والحق.. أثرها الكبير المبارك فيما تبوأه من مراكز.. وفيما وصل إليه من نعمة وسمو فى الروحانية.. إذ رضع اللبن العديم الغش.

ومن تدبير العناية الإلهية أن هيأ الرب من تعهد هذه النبتة الطيبة وذلك الغرس الصالح بالرعاية والعناية الروحية المقدسة... فقد تكفل البابا ثيئوفيلوس برعاية وتثقيف إبن أخته كيرلس منذ حداثته، وكان يشكر الله إذ رزقه ولداً روحانياً قد شب بالنعمة والحكمة.

فالله در هذه المرأة الأثيوبية والبابا أثناسيوس فإنه بفضل أمانتهما ورعايتهما الصالحة قد ترعرعت هاتان النبتتان -ثيؤفيلوس وشقيقته الصغرى- (والدة كيرلس) وأصبحتا شجرة وارفة الظلال استظل بها الوافدون، ونعم بثمارها الشهية الكثيرون...

وقد اشتهر البطريرك البابا ثيئوفيلوس كما ذكر الكاتب رتشارد بتضلعه فى معرفة الكتاب المقدس، وكثرة مؤلفاته التفسيرية عن العهد القديم التى منها المدعوة (سلاسل Catena) كما كان يتمتع هذا البابا القديس بالنعمة والتقوى التى أهلته لظهور السيدة العذراء له استجابة لصلواته، وذكرت له أثناء الرحلة المباركة التى قامت بها العائلة المقدسة إلى مصر لكى يسجلها، وعرفته بأنها أقامت بجبل قسقام ستة أشهر

(١) تاريخ بطاركة الأسكندرية ج ١ ص ٤٢٨، ايريس المصرى: المرجع السابق.

حيث يقوم الآن دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق، وأن الرب يسوع قد دشن بنفسه مذبح الكنيسة الأثرية الشهيرة على إسمها (٢).

هذا بالاضافة إلى ما اتصف به هذا البابا البطريرك من قداسة حتى استحق أن يجرى الله فى عهده معجزة نزول دم وماء (٣) من صليب خشبى طعنه مسيحى جاحد اعتنق اليهودية حتى يتمكن من العمل فى طرف رجل يهودى، وحالما طعن هذا الجاحد خشبة الصليب قائلاً «طعنتك أيها الجليلى» سقط على الأرض ميتاً يابساً كالحجر... وقد آمن كثيرون ومنهم الوالى اليهودى فلكسينوس وأهل بيته إذ ابصرت ابنته المولودة عمياء فى الحال عند رشم عينيها بهذا الدم والماء المتفجر من خشبة الصليب.

وعلى أثر حدوث هذه المعجزة حضر البابا البطريرك ومعه ابن شقيقته الشماس كيرلس إلى مجمع اليهود وعاينا الصليب والدم والماء... وهكذا اختبر كيرلس منذ حداثته عمل النعمة العجيب وكيف تمجد الله بهذه المعجزة الكبرى...

وكان لهذا الجو الروحى وتلك الرعاية المقدسة، أثرها المبارك فى تنشئة كيرلس التنشئة الروحية المقدسة... وفى اعداد شخصيته السوية الصحيحة...، إذ نشأ الصبى كيرلس وفق النهج المسيحى التكاملى الذى حقق له النمو العقلى والبدنى والنفسى والروحى والإجتماعى جنباً إلى جنب فى انسجام وتوافق... (٤)، ولهذا كان الصبى كيرلس ينمو على مثال يوحنا المعمدان وابن الإنسان فى القامة، ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه (لوقا ٢ : ٤٠).

مواهبه الفطرية:

وكان كيرلس يتمتع بمواهب فطرية مبكرة، وبفضائل روحية متعددة... وقد نضجت هذه المواهب ونمت بفضل عمل الروح القدس فى حياته، ومن له يعطى

---

(٢) مخطوطات الدير المحرق: ميمر البابا ثيئوفيلوس مخطوط رقم ١٤/٩ السنكسار المخطوط رقم ٩/١ تحت يوم ٦ هاتور.

(٣) ميامر وعجائب العذراء ص ١٠٠-١٠٤. العالم اميلينو (الدير المحرق وتاريخه أنبا غريغوريوس ص ١٠٣-١٠٤).

(٤) التربية المسيحية «سليمان نسيم» كمال حبيب، «نيافة الأنبا بيمن» ص ٣٦.

و يزداد ... فقد كان ذا عقل حاذق ، وفكر ثاقب ، وقوة فى الذاكرة مع الشغف للمعرفة ودراسة الكتاب المقدس دون انقطاع فى أغلب الليالى ، حتى قيل أنه كان يقف يقرأ وفى يده سيف من حديد ، فإذا ما غلبه النوم ينخسه السيف فيستيقظ (٥) ، وفى هذا الصدد كتب عنه (مينارداس) Meinardus « وكانت نعمة الله عليه ، حتى أنه بمجرد قراءة الكتاب مرة واحدة يحفظه جيداً و يستوعبه ... » (٦) .

كيرلس شماساً باحثاً :

كما كان كيرلس أيضاً مولعاً بالتسبيح والألحان الكنسية التى كان يرددها فى عذوبة روحانية ، وصوت ملائكى رخيم ، حتى قيل أنه إذا ما وقف يرتل الإنجيل تمنى المؤمنون ألا ينتهى من قراءته لرخامة صوته ...

وقد امتدح البابا ثيئوفيلوس فى كيرلس هذا النبوغ المبكر بقوله له « إنك بهذه الدراسات ستبلغ أورشليم السمائية فى موضع سكنى القديسين » (٧) .

ونظراً لما لمسه البابا البطريرك فى إبن شقيقته كيرلس من استعداد طيب ونبوغ مبكر ... فقد ألحقه بالمدرسة اللاهوتية بالاسكندرية لدراسة العلوم اللاهوتية والفلسفية الضرورية للدفاع عن الإيمان المسيحى ، وكان لهذه الدراسات أثرها الكبير فى اتجاهاته وكتاباته اللاهوتية والتفسيرية .. .

إلى برية شهيت :

ومنذ أن فطن كيرلس أن العالم يزول وشهوته تمضى ، مالت به عواطف الورع إلى عبادة الله واكتساب الفضيلة ...

وكان كيرلس الشاب محباً للاختلاط بالآباء الرهبان للتشبه بأولئك الملائكة الأرضيين والبشر السمائيين ... ـ كما ثبت ذلك من كتاباته لايسيذور البيلوزى ... ولهذا فقد أرسله خاله البابا ثيئوفيلوس إلى دير القديس مقاريوس الكبير ببرية شهيت (٨) ،

---

(٥) منسى يوحنا ص ٢٥٤ .

(٦) تاريخ بطاركة الأسكندرية ترجمة ايفتس ص ٤٢٨ .

(٧) تاريخ بطاركة الأسكندرية ترجمة ايفتس ص ٤٢٨ .

(٨) شيهيت كلمة قبطية معناها ميزان القلوب وتطلق على وادى النطرون .

وحيث يمكن أن تنطلق الروح للتسبيح فى هدوء وسمو...وكما قال ماراسحق المتوحد أنه « بهدوء الجسد تقتنى هدوء النفس ... » .

وفى هذه الخلوة المقدسة تتلمذ الراهب كيرلس على يد الشيخ الروحانى الحكيم القديس سيرابيون الكبير تلميذ مقاريوس - وظل هناك خمس سنوات تلقن فيها العلوم الروحية والكنسية والحكمة الإلهية ، كما تعمق فى دراسة الكتاب المقدس وأقوال وروحانية الآباء ... حتى برع فى فهمها براعة أثارت الاعجاب واسترعت الأنظار ، وبذلك تكونت شخصيته ، واستطاع بعمق فهم سر المسيح ، وسر الحياة الإلهية التى يعطيها الله للبشر(٩) ... ، فسمت حياته الروحانية ، وازداد فى النعمة والفضيلة والمعرفة ... ، وكلما أكثر المرء من التعبد بالروح والحق فى خلوته ، وازداد تعمقاً فى شركته ، ونقاء فى سريرته .. ، كلما ازداد نمواً وامتلاءاً من نعمته .. ، فإنه لا يمكن أن يكون هناك امتلاء ، ما لم يسبقه اخلاء ، وما لم يصاحبه اختلاء .. .

رسامته شماساً ثم قساً :

ولما لمس البابا ثيئوفيلوس غيرة كيرلس الملتهبة ، وما صار إليه من فضيلة وروحانية .. ، استدعاه من الدير ورسمه شماساً ، وعينه واعظاً فى الكاتدرائية الكبرى Cathedra ، ثم قام بسيامته قساً بالاسكندرية لمساعدته فى أمور الخدمة والرعاية ... ، فاحبه الجميع وذاع صيته ، حتى أقبلوا عليه من كل مكان يستمعون إليه و يستزيدون من تعاليمه وعظاته التى تملكت قلوب سامعيه ، لبلاغته وفصاحته وقوة أقناعه وحجته ... مما كان له أبلغ الأثر فى نفوسهم .

وكان القس كيرلس يصاحب خاله البابا ثيئوفيلوس فى حضور المجتمعات الهامة الأمر الذى اكسب القس كيرلس خبرة وحنكة ، ومما كان له الأثر الأكبر فى حياته وخدمته فى المستقبل ....

تنصيبه باباً وبطريركاً :

ولما انتقل البابا ثيئوفيلوس إلى الأخدار السماو ية ، أجمع الأكليروس والشعب على

---

(٩) انبا الكسندروس اسكندر .. تاريخ الكنيسة القبطية .

انتخاب القس كيرلس خلفاً له...، وقد تم تنصيبه باباً وبطريركاً على الكرسى المرقسى الرسولى السكندرى بعد وفاة خاله بثلاثة أيام فى ١٧ اكتوبر سنة ٤١٢م الموافق هاتور سنة ١٤٧ للشهداء حسب جدول ابن العسال (١٠).

وجاء فى تاريخ بطاركة الأسكندرية (١١) أنه عند تنصيب القديس كيرلس باباً وبطريركاً، رفع الآباء الأساقفة الأناجيل الأربعة فوق رأسه ووضعوا أيديهم عليه حسب الطقس الخاص بسيامة أب الآباء راعى الرعاة، والمرتلون يقولون مستحق، وهم يصلون مبتهلين «شدد يارب هذا الرجل الذى اخترته لرياستنا».

دحض بدعة نسطور:

لما ظهرت بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية الذى أنكر أن العذراء مريم هى والدة الإله. دعا الامبراطور ثيئودوسيوس الصغير إلى مجمع مسكونى لتفنيد هذه البدعة. وفعلاً انعقد مجمع أفسس من مائتى أسقف برياسة القديس كيرلس البابا السكندرى لسعة علمة وقوة شخصيته، وناقش نسطور وبين له خطأه ولما لم يقتنع حكم المجمع بحرمه ونفيه، ونُفى إلى مصر وأقام في أخميم حتى توفى سنة ٤٤٠م. وأخذ الناس يلقون الزبالة والأتربة على قبره حتى تكون تل كبير مازال حتى الآن فى أخميم يسمى تل نسطور..

نياحة القديس كيرلس الكبير:

لما أكمل القديس البابا كيرلس الأول عامود الدين البابا السكندرى الرابع والعشرون سعيه الصالح مرض قليلاً وتنيح بسلام فى ٢٧ يونية سنة ٤٤٤م أقام على الكرسى المرقسى إحدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام، رعى فى خلالها شعبه أحسن رعاية وأشبعهم من التعاليم الإلهية وبنى الكثير من الكنائس وحول بعض اليرابى الوثنية إلى كنائس.

---

(١٠) تاريخ البطاركة ترجمة ايفتس ص ٤٥٠ منسى يوحنا ص ١٨٢.

(١١) وقد ظل البابا كيرلس الأول بطريركاً للكرازة المرقسية إحدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وهويضىء بسيرته الصالحة المباركة وتعاليمه النافعة.

وتعيد له الكنيسة القبطية بتذكار نياحته فى اليوم الثالث من شهر أبيب كل عام.

بركة صلواته فلتكن معنا آمين.

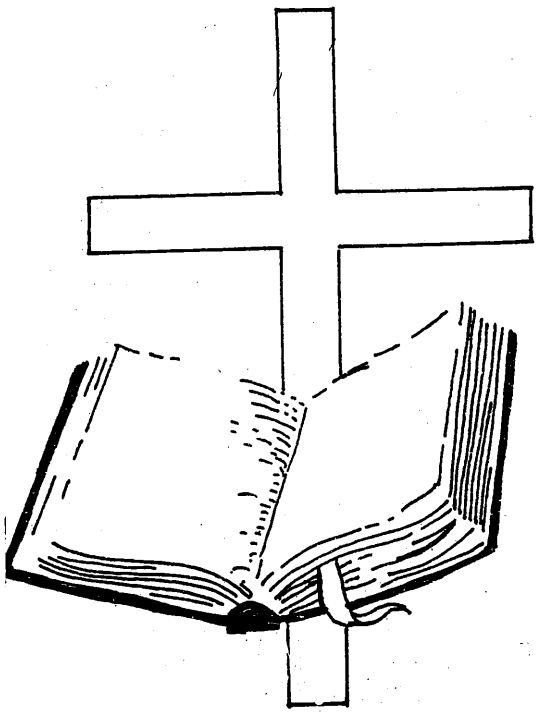

القداس الكيرلسى

تطور تاريخ القداس الكيرلسى :

١ - وضعه القديس مارمرقس (١) الانجيلى كاروز الديار المصرية باللغة اليونانية التى كان يتقنها فى الستينيات من القرن الأول المسيحى ، لذلك يعتبر من أقدم القداسات فى الكنيسة الجامعة وأقدم قداس فى الكنيسة القبطية وهو يخاطب أقنوم الآب .

٢ - ظل يُسلم شفاها حتى جاء القديس أثناسيوس الرسولى البطريرك العشرون فدونه على الورق سنة ٣٣٠م ، ومازالت بمكتبة جامعة اكسفورد ببريطانيا بعض قصاصات من ورق البردى عليها قداس مارمرقس الأصلى .

٣ - جاء بعد ذلك البابا كيرلس الأول عامود الدين البطريرك الرابع والعشرون ، وكانت الكنيسة فى أيامه فى أوج عزها ومجدها وراحتها بفضل الإمبراطور المسيحى التقى ثيئودوسيوس الثانى ، ففكر البابا كيرلس فى إطالة القداس المرقسى حتى يتمتع المؤمنون أكثر بالصلاة والوجود فى حضرة الله فترة أطول ، فأضاف إليه بعض الصلوات والأواشى حسب مقتضيات الحاجة ، ومن ذلك الحين (أوائل القرن الخامس) تسمى هذا القداس باسمه واصبح يدعى (القداس الكيرلسى) .

ويعتبر تدوين هذا القداس من أثمن ما قدم القديس كيرلس عامود الدين للكنيسة من ثروة روحية عميقة بخلاف سائر كتاباته وتفسيراته العديدة والعميقة .

ومازالت توجد بعض النسخ المخطوطة من القداس الكيرلسى فى مكتبات الفاتيكان ودير سانت كاترين وجامعة فيينا يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الحادى عشر والثالث عشر ومكتوب عليها « القداس القبطى » .

٤ - ترجم القداس الكيرلسى بعد ذلك إلى اللغة القبطية ثم ترجم فى القرن العاشر إلى اللغة العربية .

---

(١) مرقس إسم لاتينى معناه مطرقة أو طارق .

٥ - ظل هو القداس الوحيد المستخدم فى الكنيسة القبطية لعدة قرون، ثم استخدمت الكنيسة إلى جواره قداسات أخرى كالباسيلى والغريغورى وغيرها من القداسات التى مازالت مستخدمة فى الكنيسة الأثيوبية ومن ضمنها القداس الكيرلسى الذى يصلون به فى تذكارات القديس كيرلس وفى أيام تذكارات المتوفى (قداس الترحيم) وفى مناسبات أخرى.

٦ - يستخدم القداس الكيرلسى حتى الآن فى الكنيسة القبطية ضمن ثلاث قداسات معترف بها وهى القداس الكيرلسى والباسيلى والغريغورى.

٧ - يمكن الصلاة بأى واحد من هذه القداسات الثلاثة فى أى وقت من السنة، ولكن جرت العادة بين الآباء الكهنة أن يصلوا بالقداس الباسيلى فى الأيام السنوية لقصره وسهولته، وبالغريغورى فى الأعياد لأن ألحانه فرايحى منعشة، وبالكيرلسى فى آحاد الأصوام لطوله وعمقه وروحانيته.

٨ - للأسف ضاعت معظم ألحان القداس الكيرلسى لقلة إستعماله، ومن يصليه اليوم يصليه بلحن غير ثابت وبدون تسليم، وقليلون من الكهنة والمرتلين المتمكنين من يعرفون بعض ألحانه.

مميزات القداس الكيرلسى

١٠ - القداس الكيرلسى هو القداس القبطى الأصيل الخاص بكنيسة الاسكندرية والذى وضعه القديس مارمرقس أحد السبعين رسولاً الذى عاين الرب يسوع وتتلمذ على يديه وعمل الرب يسوع المسيح حفلة تأسيس العشاء الربانى فى بيته، وبالضرورة كان حاضراً واشترك فى تجهيز العلية التى عمل فيها الرب يسوع العشاء الربانى مع تلاميذه، فهو بذلك قداس رسولى مثل قداس يعقوب الرسول.

٢ - يمتاز أيضاً بكثرة أواشيه وتنوعها حتى تغطى كل احتياجات الكنيسة وشعبها، وهو يحوى ١٧ أوشية بخلاف المجمع والترحيم، بينما القداس الباسيلى يحتوى على ٧ أواشى فقط، والغريغورى فيه ١٠ أواشى فقط، ومن المعروف أن كل الأواشى التى نستخدم فى رفع بخور عشية ورفع بخور باكر مأخوذة بنصها من القداس الكيرلسى.

٣ ـ يمتاز هذا القداس أيضاً بقوة صلواته وروعة ألفاظة وعمق معاينها ولاهوتيتها مع جمال روحه وتنسيقه ، وتميل معظم ألحانه إلى التذلل والخشوع أمام الله .

٤ ـ يختلف القداس الكيرلسى عن الباسيلى والغريغورى إذ يضع صلوات التقديس والرشومات ـ وهى قمة الروحانية فى القداس ـ يضعها فى نهاية القداس بعد كل الأواشى والمجمع ، وهذا وضع رائع يتدرج بالمصلى شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة التى هى صلوات التقديس ثم التناول من الأسرار المقدسة .

٥ ـ بدأت فى الآونة الأخيرة محاولات لتطبيع القداس الكيرلسى على القداس الباسيلى بجعل الأواشى والمجمع بعد صلوات التقديس والرشومات ، مع حذف الكثير من الأواشى الطويلة الموجودة فيه كالراقدين والمرضى والمسافرين بحجة أنها قيلت فى رفع بخور عشية وباكر...

وأظن أن هذا عمل خاطىء ، ويستحسن ابقاء القداس الكيرلسى على حاله ، والصلاه به حسب ترتيبه فى الخولاجيات القديمة الكبيرة حتى يظل محتفظاً بطقسه وطابعه الأصيل .

٦ ـ يستحسن أن يصلى القداس الكيرلسى كاهنان أو أكثر لأنه توجد به دورات بخور حول المذبح أثناء صلاة الكاهن على المذبح ، ويقوم بها الكاهن الشريك .

أمل ورجاء :

والأمل ألا يظل القداس الكيرلسى الذى وضعه كاروز ديارنا المصرية مارمرقس الرسول ودونه ونشره البابا الاسكندرى كيرلس الكبير عامود الدين نسياً منسياً ، بل من الواجب أن ينال هذا القداس الرسولى العناية اللائقة به من الاكليروس القبطى ، وأن يحوز هذا القداس الاسكندرى الأصيل المقام الأول بين القداسات الأخرى ، حفظاً واستعمالاً ودراسة وإهتماماً .

ترتيب صلوات القداس الكيرلسى

اعتمدنا فى ترتيب صلوات القداس الكيرلسى على الخولاجى الكبير المستخدم فى كنائسنا طبعة القمص عبد المسيح المسعودى والذى أعاد طبعه القمص عطا الله المحرقى.

وترتيب الصلوات هو كالآتى:

مقدمة: وهى صلاة الصلح، وهى مدخل للقداس وليست من صلب القداس.

١ - الرشومات الثلاثة: الرب مع جميعكم. ارفعوا قلوبكم. فلنشكر الرب.

٢ - قطعة مستحق وعادل.

٣ - الأواشى كلها والمجمع. ثم مرد الشماس: أيها الجلوس قفوا.

٤ - طلبة حل المربوطين: خلص الذين فى الشدائد. وفى آخرها يقول الشماس: وإلى الشرق انظروا..

٥ - قطعة: لأنك أنت هو الله.

٦ - رشومات أجيوس الثلاثة.

٧ - قطعة قدوس.

٨ - صلوات التقديس أو الرشومات الأولى.

٩ - طلبة.

١٠ - مقدمة القسمة والقسمة.

١١ - صلوات الخضوع والتحليل.

١٢ - الرشومات الأخيرة والاعتراف: وهى مطابقة لرشومات القداس الباسيلى.

١٣ - التوزيع.

١٤ - التسريح.

مقدمة : صلاة الصلح

قبل البدء فى القداس الإلهى يصلى الكاهن صلاة الصلح . و يوجد فى مقدمة القداس الكيرلسى صلاتان للصلح :

الأولى : صلاة صلح من وضع البطريرك ساويرس بطريرك أنطاكية ، وهى المستخدمة غالباً « يارئيس الحياة وملك الدهور... إلخ » .

فيها تسبيح لله الذى تجثو له كل ركبة ويخضع له كل عنق ، وفيها يطلب الكاهن أن يمنحه الله هو وشعبه السلام السمائى ليسود بينهم السلام والحب الإلهى ، ولا يسمح أن يطرحهم و يرفضهم بسبب خطاياهم ، بل يتراءف عليهم و يرحمهم .

الثانية : صلاة صلح أخرى من وضع القديس يوحنا المثلث الطوبى (يوحنا ذهبى الفم غالباً) يخاطب بها الله قائلاً « يا إله المحبة ومعطى وحدانية القلب ورازق الرأى الواجد الذى للفضيلة ... و يطلب فيها أن ينعم عليهم بالمحبة الأخوية والطهارة التى لا تتذكر الشر .

١ ـ رشومات « الرب مع جميعكم »
وهى بداية القداس الكيرلسى

١ ـ يرفع الكاهن الابروسفارين من على الأسرار ثم يأخذ اللفافة التى كانت عليه بيده اليسرى و يأخذ اللفافة التى على الصينية بيده اليمنى ثم يمسك بها الصليب و يرشم الشعب إلى ناحية الغرب قائلاً « **الرب مع جميعكم** » .

استخدمت هذه البركة الرسولية منذ القرن الأول المسيحى ـ ومعناها أن الرب فى وسطكم كما حل فى وسط التلاميذ بعد قيامته من بين الأموات خصوصاً وأن هذه البركة تقال بعد رفع الابروسفارين الذى يمثل دحرجة الحجر من على قبر المخلص بعد قيامته وخروجه من القبر وهو مغلق ، وذلك لإعلان قيامته على فم الملاك .

٢ ـ يرشم الخدام عن يمينه شرقاً قائلاً « **ارفعوا قلوبكم** » هنا يطلب إليهم أن

يرفعوا قلوبهم إلى الرب القائم من بين الأموات حسب نصيحة الرسول «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض» (كو٣: ١- ٣-).

٣ - يرشم ذاته قائلاً «**فلنشكر الرب**» الذى أهلنا للوقوف أمامه وحضوره فى وسطنا ورفع قلوبنا إليه وتمجيده بالروح والحق.

فيرد الشعب قائلاً: **مستحق وعادل.**

٢ - قطعة «مستحق وعادل»

يرفع الكاهن يديه إلى فوق مغطيتين باللفافتين ويسبح الله قائلاً «مستحق وعادل... أن نسبحك ونرتل لله ونخدمك ونسجد لك ونشكرك ونمجدك... أنت الذى خلق السماوات. وما فى السماوات، والأرض وكل ما فيها، البحار والأنهار والينابيع والبحيرات وما فى جميعها. أنت هو الذى خلق الإنسان كصورتك وشبهك.

ثم يضع يد بخور فى المجمرة ويبخر بها فوق المذبح وهو يكمل هذه الصلاة التى يمجد بها الله الخالق وضابط الكل صاحب الإسم العظيم الذى يقدم له البخور فى كل زمان وكل مكان (ملا ١: ١١، ١٢).

٣ - الأواشى

يقول الكاهن الأواشى، وكلها أواشى كبيرة وطويلة وفيها طلبات متعددة وعميقة وهى كالآتى:

١ - اوشية السلام:

يطلب فيها الكاهن عن سلام الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، وعن كل الشعوب المسيحيين والملوك والحكومات والجند، ويطلب لهم من الله السلام والطمأنينة وألاَّ يدع موت الخطية يقوى وينتصر عليهم، وهذا ما أمر به معلمنا بولس الرسول بقوله: اطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع اللذين هم منصب لكى نقضى حياة

مطمئنة هادئة بكل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (١تى ٢ : ١ - ٣) .

٢ - أوشية المرضى :

هى المستخدمة فى رفع بخور باكر دائماً وفيها يطلب الشفاء للمرضى بالأمراض النفسية والجسدية والذين تسلطت عليهم الأرواح الشريرة ، ويخاطب الله بعبارات عميقة قائلاً « يا رجاء من ليس له رجاء و يا معين من ليس له معين عزاء صغيرى النفوس ميناء الذين فى العاصف ... أيها الطبيب الحقيقى الذى لأنفسنا وأجسادنا . يا مدبر كل جسد تعهدنا بخلاصك ، فالرب هو الشافى لكى مرض كما يقول المرنم « باركى يا نفسى الرب ... الذى يغفر جميع ذنوبك الذى يشفى كل أمراضك الذى يفدى من الحفرة حياتك الذى يكللك بالرحمة والرأفة الذى يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك » (مز١٠٣ : ١ - ٥) .

٣ - أوشية المسافرين :

يطلب فيها من أجل المسافرين بكل أنواع المواصلات وفى كافة الطرق وحتى الذين يضمرون السفر يطلب من الله أن يسهل طرقهم و يشترك معهم فى أعمالهم الصالحة التى يسافرون لأجلها وأن يصحبهم فى الإقلاع والمسير و يردهم إلى منازلهم فرحين ومعافى النفس والجسد والروح .

وإذ نحن غرباء فى هذا العالم ومسافرون إلى أبديتنا يطلب لنا الكاهن قائلاً « غربتنا التى فى هذا العمر احفظها بسلام يغير مضرة ولا عاصف ولا قلق إلى الإنقضاء » حتى نصل إلى شاطىء الأبدية بسلام ، فالمرنم يقول « غريب أنا فى الأرض فلا تخف عنى وصاياك » (مز١١٩ : ١٩) ، و يوصينا معلمنا بطرس الرسول قائلاً « سيروا زمان غربتكم بخوف » (١بط ١ : ١٧) .

٤ - أوشية المياه والزروع والثمار:

أ - المياه : تفضل يارب مياه النهر باركها :

تقال فى المدة من ١٢ بؤونة إلى ٩ بابه ، وفى هذه الفترة كان يحدث فيضان النيل

كل عام، ويجيء إلى مصر بالطمى الغزير والماء الكثير الذى يغمر الأرض فيجدد خصوبتها وشبابها فيزيد محصولها.

ب- الزروع: تفضل يارب الزروع والعشب ونبات الحقل فى هذه السنة باركها:

تقال فى المدة من ١٠ بابه إلى ١٠ طوبه: وفى فترة زراعة المحاصيل الشتوية الرئيسية كالقمح والشعير والفول والعدس وغيرها، وهى المحاصيل التى يتوقف عليها غذا الإنسان وطعامه يطلب الكاهن من الله أن يباركها حتى تنمو وتكبر دون أن تصاب بالآفات لكى تأتى بالمحصول الوفير.

ج - الثمار: تفضل يارب أهوية السماء وثمرات الأرض فى هذه السنة باركها:

تقال فى لمدة من ١١ طوبه إلى ١١ بؤونة. وفى هذه الفترة تنضج المحاصيل وتجصد، فيطلب الكاهن لها جواً معتدلاً مناسباً حتى تنضج بطريقة صحيحة وتأتى بالثمر الكثير السليم من الآفات فيفرح الزارع والحاصد معاً.

بعد أى واحدة من هذه الأواشى الثلاث يكمل الكاهن «اصعدها كمقدارها كنعمتك فرح وجه الأرض...»

هذه الأوشية تبين إهتمام الكنيسة بالإنسان ليس من الناحية الروحية فقط بل من الناحية الجسدية أيضاً، تهتم بطعامه وشرابه كما تهتم بتعليمه وتوبته.

حقاً إن الكنيسة تهتم بكل إنسان وبكل الإنسان.

٥- أوشية الملك:

ملك ارضنا عبدك إحفظه بسلام وعدل وقوة...إلخ.

تطلب الكنيسة من أجل الملك الحاكم حسب وصية معلمنا بولس الرسول «اطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات (أواشى) وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس (وبالأخص) لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة

مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار، لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله (١تى ٢ : ١ - ٣).

تطلب الكنيسة من أجل الملك (أو رئيس الجمهورية) أن يحفظه الله بسلام وقوة ويخضع له سائر الأعداء و يتكلم فى قلبه بالسلام من أجل الكنيسة «لأن قلب الملك فى يد الرب» (أم ٢١ : ١).

٦ - مجمع القديسين:

يأتى مجمع القديسين فى القداس الكيرلسى فى وسط الأواشى وليس فى آخرها كما هو الحال فى القداسين الآخرين، ومجمع القداس الكيرلسى يشبه إلى حد ما مجمع القداس الغريغورى إذ يحتوى على نفس الإثنين والعشرين إسماً المذكورة فى المجمع الغريغورى إلى جانب رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين الذين تكملوا فى الإيمان والتسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت، وهى نفس الطغمات التى ذكرها مجمع القداس الغريغورى وقديسوا المجمع وهم سحابة الشهود المحيطة بنا والمراقبة والمشجعة لجهادنا والتى تتشفع من أجلنا لكى نطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢ : ١) متخذين من هؤلاء القديسين قدوة لنا ومن صلواتهم معونة ونسير على نفس الطريق الصحيح الذى ساروا فيه حتى نصل إلى الحياة الأبدية كما وصلوا ونتمتع معهم بالميراث الأبدى المعد للمجاهدين المنتصرين..

+ فى آخر المجمع يصرخ الكاهن قائلاً بلحن منسحق حزين «كن غافراً لآثامنا من أجل طلباتهم المقدسة ومن أجل اسمك المبارك الذى دعى علينا»

وهذا حسب وعد الرب القائل «إذا تواضع شعبى الذى دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الرديئة فإننى اسمع من السماء وأغفر خطيتهم» (٢أى ٧ : ١٤).

٧ـ الترحيـم

«أذكر يارب آباءنا القديسين الأرثوذكسيين رؤساء الأساقفة الذين سبقوا فإضطجعوا. هؤلاء الذين فصلوا كلمة الحق باستقامة وأعطنا نحن أيضاً حظاً ونصيباً معهم ذاكراً أيضاً هؤلاء الذين نذكرهم فى يومنا هذا (ثم يذكر من يريد أن يذكرهم من المتنيحين بالاسم).

٨ـ أوشية الراقدين

تأتى بعد الترحيم ومكملة له وأولها هنا فى القداس الكيرلسى **«وهؤلاء وكل أحد يارب الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم الذين فى فكر كل واحد فينا والذين ليسوا فينا (فى فكرنا) الذين رقداوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح»**.

(وهذا هو الترحيم الذى يقال فى قداس الترحيم باللحن الحزاينى الصارخ المعروف).

و يكمل الكاهن أوشية الراقدين **«تفضل نيح نفوسهم جميعاً**... إلى آخرها، كما نتلوها فى رفع بخور عشية دائماً.

+ يقول الكاهن **«نيح نفوسهم جميعاً فى حضن آبائنا القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب»** كما حدث مع لعازر المسكين المحتمل الشاكر الصابر الذى لما تنيح «حملته الملائكة إلى حضن ابراهيم» (لوقا ١٦ : ٢٢).

+ وفردوس النعيم الذى يذهب إليه الأبرار قال عنه اشعياء النبى «مفديوا الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدى. ابتهاج وفرح يدركانهم يهرب الحزن والتنهد. أنا أنا هو معزيكم» (أش ٥١ : ١١، ١٢).

+ يطلب الكاهن له ولشعبه الراقدين والأحياء نصيباً وميراثاً مع القديسين كما أعلن الرب لبولس الرسول قائلاً «أنا الآن ارسلك إلى الأمم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من الظلمات إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين» (أع ٢٦ : ١٧، ١٨).

+ الصلاة على الراقدين تفيد الأتقياء الذين انتقلوا فى التوبة والتقوى. والكنيسة تصلى من أجلهم مثلما صلى معلمنا بولس الرسول من أجل انسيفورس الذى كان قد مات حديثاً وقال فى صلاته «ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم» (٢تى ١ : ١٨).

٩ـ أوشية القرابين

يقولها الكاهن وهو يضع يد بخور فى المجمرة و يبخر بها فوق الصينية والكأس. **«الصعائد والقرابين وشكر الذين يقربون كرامة ومجداً لاسمك القدوس إقبلها إليك على مذبحك المقدس ...»** إلى آخرها، كما يقولها فى رفع بخور باكر فى الآحاد والأعياد، وليست مختصرة كما هو الحال فى القداس الباسيلى والغريغورى.

فى أوشية القرابين يطلب الكاهن من الله أن يقبل تقدمات وعطايا شعبه وأن يعوضهم عنها أجراً صالحاً سمائياً، يذكر أصحاب الكثير ولا ينسى الذين قدموا القليل وحتى الذين يريدون أن يقدموا وليس لهم، يطلب إلى الله أن يقبل تقدمة النية التى عندهم و يعوضهم عنها خيراً وبركة، كما قبلّ فى القديم ذبيحة هابيل الصديق (تك ٤ : ٤) وذبيحة أبينا ابراهيم (تك ٢٢) وهو اسحق ذبيح النية، وفلسى الأرملة التى ألقت كل ما عندها كل معيشتها (مر ١٢ : ٤٤).

١٠ـ أوشية الأب البطريرك

بطريركنا الأب المكرم الأنبا ...

حفظاً إحفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سلامية ...

فيها تطلب الكنيسة من أجل رئيس أساقفتها أن يحفظه الرب بصحة وسلام مفصلاً كلمة الحق باستقامة راعياً شعبه بطهارة وبر وأن يقبل صلواته من أجل شعبه وأن يخضع أعداء الكنيسة تحت قدميه سريعاً، لأن بسلامه يكون للكنيسة كلها سلام واستقرار، كما يطلب الكاهن أن يقبل الرب صلوات البابا البطريرك عن الكنيسة كرائحة بخور كما قبل ذبيحة المسيح عن الكنيسة فداءً وخلاصاً «المسيح اسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف ٥ : ٢)..

١١ـ أوشية الأساقفة :

«اذكر يارب الأساقفة الأرثوذكسيين الذين فى كل موضع» وإذا كانت إيبارشية لها أسقفها فيذكره الكاهن أولاً ثم يكمل بقوله «الأساقفة الأرثوذكسين الذين فى كل موضع».

يطلب الكاهن لأسقف إيبارشيته ولكل الأساقفة الأرثوذكسيين العافية والسلام حتى يرعون شعوبهم بالبر والاستقامة والعدل والطهارة ساهرين على حفظ الإيمان والعقيدة وتراث الكنيسة بكل دقة.

١٢ ـ أوشية بقية الاكليروس والرهبان وفئات الشعب المختلفة :

وتأتى مكملة لأوشية الأساقفة فيقول الكاهن : **«والقسوس والشمامسة والايبوديا كونيين والاغنسطسيين والمرتلين والقراء والرهبان والعذارى (الراهبات) والأرامل والأيتام والنساك والعلمانيين والمتحدين بالزيجة ومربى الأولاد ...إلخ.** يطلب لهم المعونة والرحمة.

١٣ـ أوشية الشعب الأرثوذكسى (المستقيم الرأى والعقيدة والإيمان).

«اذكر يارب بقية الأرثوذكسين الذين فى كل موضع من المسكونة».

يطلب من أجلهم أن يحفظهم الرب من كل شر ويثبتهم فى الإيمان الأرثوذكسى جميع أيام حياتهم وفى ذلك ينصحنا معلمنا بولس الرسول قائلاً «مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين (المؤمنين)» (أف٦ : ١٨).

١٤ـ أوشية الموضع :

«اذكر يارب هذا الموضع المقدس الذى لك وكل المواضع وكل أديرة آبائنا الأرثوذكسين» فيها يطلب عن سلام وطمأنينة المدينة أو القرية أو الدير الذى فيه

الكنيسة وكل المدن والقرى والأقاليم و بيوت المؤمنين .

والصلاة من أجل سلام الموضع أمر إلهى قاله قديماً «اطلبوا سلام المدينة التى سبيتم إليها وصلوا لأجلها لأنه بسلامها يكون لكم سلام» (أر٢٩ : ٧). وكان المرنم داود يصلى من أجل مدينته أورشليم قائلاً «ليكن سلام فى أبراجك راحة فى قصورك من أجل إخوتى وأصحابى لأقولن سلام لك من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً» (مز١٢٢ : ٧- ٩).

١٥ - أوشية القيام : (أى القائمين بالصلوات والطلبات).

«اذكر يارب القيام ههنا والمشاركين لنا فى الطلبة ... احفظهم وإيانا بمعسكر القوات المقدسة ونجنا من السهام المتوقدة ناراً التى لإبليس وكل المصايد الشيطانية ومن فخ التزكية الكاذبة».

+ السهام المتوقدة ناراً التى لإبليس ينصحنا معلمنا بولس الرسول أن نحترس منها بقوله «حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة» (أف٦ : ١٦).

+ والتزكية الكاذبة هى الاعتداد بالذات والكبرياء وقبول المديح الذى يؤدى إلى الانتفاخ بينما المفروض أن يسعى الإنسان لرضى الله وتزكيته فقط حسب قول الرسول «ليس من مدح نفسه هو المزكى بل من يمدحه الرب» (٢كو١٠ : ١٨).

١٦ - أوشية الموصين :

«اذكر يارب كل الذين أوعزوا إلينا (أوصونا) أن اذكرونا ... تذكارهم الذى صار الآن فليكن لهم عوض سور ثابت غالب كل مضرات الشياطين ومؤامرة الناس الأشرار.

يطلب عن الذين أوصوه أن يذكرهم حتى يقضى الله لكل واحد حاجته فيعطى شفاءً للمريض ونجاحاً للطالب وحلاً للمشاكل، ونجاحاً للأعمال الحسنة، وهذه هى الشفاعة بمعناها الواضح.

حينما تطلب من الكاهن أن يذكرك فى صلواته وقداساته يعتبره هو أمر تكليف ومن

صميم عمله أن يذكر شعبه وأولاده فى صلواته و يتشفع عنهم أمام مذبح الله و وذلك حسبما كان يعمل صموئيل النبى من أجل شعبه إذ قال «أما أنا فحاشا لى أن اخطىء إلى الرب فاكف عن الصلاة من أجلكم» (١صم ١٢ : ٢٣).

+ وفى أوشية الانجيل يقول الكاهن «اذكر أيضاً ياسيدنا كل الذين أمرونا وأوصونا أن نذكرهم فى صلواتنا وتضرعاتنا التى نرفعها إليك أيها الرب إلهنا».

+ وهنا فى القداس الكيرلسى أفرد لهم أوشية خاصة هى أوشية الموصين.

+ عند تقدمة الحمل يحتم الطقس أن يذكر الكاهن أولاده بالاسم أمام الله و بعد صلوات القسمة والتحاليل فى نهاية القداس يذكرهم أيضاً، بروح المحبة والأبوة والأهتمام، فالكاهن هو شفيع عن شعبه أمام مذبح الله.

١٧ـ أوشية الخديم

و يقولها الكاهن سراً و بتذلل.

«اذكر يارب نفسى الضعيفة الشقية، وامنحنى أن أفهم ما هو عظم قيامى أمام مذبحك المقدس واقطع عنى كل لذات الجهل والصبا ... ونجنى من كل أفعال القوات المضادة ولا تهلكنى بآثامى ... ونجنى أنا غير المستحق ككثرة رحمتك على.

حقاً إنها أوشية مملوءة انسحاقاً وتوبة يقدمها الكاهن أمام الله حتى يغفر له ضعفاته وخطاياه و يقبل ذبيحته وصلواته عن شعبه كما يقول فى القداس الباسيلى بعد أن يذكر كل من أوصاه أن يذكره يقول «اذكر يارب ضعفى أنا أيضاً واغفر لى خطاياى الكثيرة، وحيث كثر الإثم فلتكثر هناك نعمتك من أجل خطاياى خاصة ونجاسات قلبى لا تمنع شعبك من نعمة روحك القدوس، حاللنا وحالل كل شعبك.

١٨ـ أوشية الكهنوت

« اذكر يارب هذا الكهنوت المقدس الذى لك، كل الرتب الكهنوتية الأرثوذكسية ... اذكرنا يارب بالمراحم والرأفات وامح آثامنا كصالح ومحب البشر.

يطلب عن إخوته الكهنة لكى يعينهم الله فى حياتهم وفى خدمتهم و يعينهم على مسئوليتهم الجسيمة فى خلاص النفوس و يعمل معهم وفيهم و بهم لمجد إسمه القدوس .

١٩ ـ أوشية الاجتماعات

« اجتماعاتنا باركها ... »

وهى نفس أوشية الاجتماعات التى نصليها فى رفع بخور عشية و باكر واحدى الأواشى الثلاث الكبار بعد انجيل القداس .

وفيها يطلب من الرب أن يبارك الاجتماعات ، وأن يسحق الشيطان تحت أقدامنا سريعاً ، وأن يبدد مشورة أعداء البيعة كما بدد قديماً مشورة أخيتوفل .

وأخيتوفل هذا كان من مشيرى (مستشارى) داود الملك ، ولما قام ابشالوم ابن داود لينتزع المملكة من أبيه انضم إليه اخيتوفل ليكون مستشاراً له ، ولما سمع داود بذلك صلى قائلاً « حمق يارب مشورة اخيتوفل » (٢صم ١٥ : ٣١) ثم هرب داود من أورشليم وعبر الأردن شرقاً ، ولكنه ترك حوشاى الأركى أحد مستشاريه فى أورشليم لكى يبلغه الأخبار أولاً بأول ، ولما دخل أبشالوم والشعب الذى معه أورشليم تظاهر حوشاى الأركى أنه من أنصاره ومن المخلصين له .

بعد ذلك طلب أخيتوفل أن يعطيه أبشالوم ١٢ ألف مقاتل فيذهب وراء داود و يقتله ، فيتفرق الشعب الذى معه و يصبح ابشالوم ملكاً بلا منازع ، ولما طلب أبشالوم مشورة حوشاى الأركى أشار عليه بأن يذهب هو بنفسه مع المقاتلين حتى يشددهم فيقضوا على داود ورجاله ، وحسنت مشورة حوشاى الأركى عند أبشالوم أفضل من مشورة أخيتوفل وأخذ بها وسار فى وسط رجاله لمحاربة رجال داود والقضاء عليهم جميعاً ، وأثناء الحرب وكان أبشالوم راكباً على بغل فدخل البغل تحت أغصان بطمة (شجرة) عظيمة ملتفة ، فتعلق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء والأرض والبغل الذى تحته مر (٢صم ١٧ : ٩ ، ١٠) . فرآه رجل واخبر يوآب بن صروية (قائد جيش داود) وقال إنى رأيت أبشالوم معلقاً بالبطمة فأخذ يوآب ثلاثة سهام ونشبها فى قلب

أبشالوم وهو بعد حى وأحاط به غلمان يوآب وضربوه حتى مات ، وتفرق رجاله وانتهت مؤامرته الرديئة ، وعاد داود إلى اورشليم وإلى مقر ملكه ، أما أخيتوفل فلما رأى أن مشورته لم يعمل بها خنق نفسه ومات (٢صم ١٧ : ٣٣) .

ومثلما بدر الله مشورة أخيتوفل لكى ينقذ عبده داود ، هكذا يطلب إليه الكاهن أن يبدد مشورة أعداء الكنيسة كما بدد الله مشورة أخيتوفل من أجل نجاة الكنيسة وشعبها المؤمن المتمسك بإلهه .

ويختم الكاهن أوشية الإجتماعات بقوله وهو يبخر غرباً ناحية الشعب « أما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف ربوات ربوات يصنعون إرادتك » فالمهم أن يصنع الشعب إرادة الله و ينفذ وصاياه حتى يفوز برضاه و يتمتع بمعونته وحمايته ورعايته الإلهية .

+ هنا يصرخ الشماس قائلاً « أيها الجلوس قفوا » .

٤ ـ الطلبة

يقول الكاهن هذه الطلبة و بعد كل ربع يقول الشعب يارب ارحم :

« حل المربوطين خلص الذين فى الشدائد ... إلخ »

يطلب فيها طلبات عميقة من أجل شعبه وأولاده ، والرب مستعد أن يستجيب هذه الطلبات لأنه صالح ومحب للبشر وهو « المجرى حكماً للمظلومين المعطى خبزاً للجياع الرب يطلق الأسرى . الرب يفتح أعين العمى ، الرب يقوم المنحنيين . الرب يحب الصديقين . الرب يحفظ الغرباء . يعضد اليتيم والأرملة » (مز ١٤٦ : ٧ ـ ٩) .

فى نهايتها يصرخ الشماس قائلاً « إلى الشرق انظروا » .

٥ ـ قطعة « لأنك أنت هو الله »

يصلى الكاهن هذه الصلاة العميقة فيها يمجد الله الذى هو فوق كل رئاسة وسلطان وقوة ، الذى يقف أمامه الطغمات السمائية يغطون وجوههم من بهاء عظمة مجده و يسبحونه بلا فتور ، ثم يطلب أن يقبل الله تقديسه وتمجيده مع تقديسات هؤلاء السمائيين .

٦ ـ رشومات أجيوس الثلاثة

+ يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات وهو يتلو الثلاث أرباع المعروفة :

١ ـ تنضح على بزوفاك فأطهر . تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج .
٢ ـ تسمعنى سروراً وفرحاً . فتبتهج عظامى المتواضعة .
٣ ـ اغسل يدى بالنقاوة وأطوف بمذبحك يارب لكى اسمع صوت تسبحتك .

+ يضع اللفافة التى كانت على يده اليمنى (قبل غسل اليدين) على المذبح شمالاً ، وبيده اليمنى يرفع اللفافة التى فوق الكأس ويضعها على المذبح يميناً ويضع بدلها اللفافة التى على يده اليسرى ، ثم يأخذ بيده اليسرى اللفافة التى سبق ووضعها على المذبح يساراً ، ثم يأخذ بيده اليمنى اللفافة التى وضعها على المذبح يميناً ويمسك بها أيضاً الصليب ، ويبدأ بعمل رشومات أجيوس الأول على نفسه وهو يقول **أجيوس .**

الثانى على الخدام على يمين المذبح ويقول آجيوس .

الثالث على الشعب غرباً وهو يقول آجيوس .

+ أثناء عمل رشومات آجيوس يدور الكاهن الشريك بالمجمرة حول المذبح دورة واحدة .

+ إن كلمة آجيوس أى قدوس فيها كل المعانى التى نريد أن نكرم بها الله ونسبحه ونمجده ، فهو قدوس لأنه منزه عن كل خطية وطاهر من كل نقص وهو قدوس لأنه رحوم وعادل وقوى ... إلخ وهى أعظم ما يمكن أن نسبح به الله ونمجده .

+ هو نفسها تسبحة السيرافيم الذين رآهم اشعياء النبى حول العرش الإلهى يسبحون الله قائلين «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض» (أش ٦ : ٣) .

+ دوران الكاهن الشريك بالمجمرة حول المذبح أثناء رشومات آجيوس يعنى الكرازة فى كل العالم باسم الله القدوس ورائحته الذكية لكل العالم والتى تفوح فيه مثل البخور .

٧ـ قطعة « قدوس » ...

يصلى الكاهن قطعة « قدوس رب الصباؤوت إلى آخرها ، و بعد إنتهاء صلاة « قدوس » يضع الكاهن اللفائف التى على يديه على المذبح و يبدأ بصلوات التقديس .

٨ـ صلوات التقديس

+ فى آخر قطعة آجيوس يرشم الكاهن على الصينية والكأس معاً رشماً واحداً وهو يقول : « إملأ هذه الصعيدة التى لك يارب بالبركة التى من قبلك بحلول روحك القدوس عليها .

يقول الشعب (والشمامسة) : آمين .

+ يعمل الكاهن رشماً ثانياً على الكأس والصينية معاً وهو يقول : و بالبركة بارك .

فيقول الشعب (والشمامسة) : آمين .

+ يعمل الكاهن رشماً ثالثاً على الكأس والصينية معاً وهو يقول : و بالتقديس قدس .

فيقول الشعب (والشمامسة) : آمين .

+ يشير الكاهن بيديه إلى الخبز والخمر و يقول : قرابينك المكرمة هذه المبدوء بوضعها أمامك . هذا الخبز وهذه الكأس .

+ هنا يمسك الملعقة بلفافة (و يرشم بها على درج البخور) رشماً واحداً و يضع بها البخور فى المجمرة ، ثم يبخر يديه على المجمرة ثلاث مرات استعداداً للمس الأسرار وهو يقول : « لأن ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ، فى الليلة التى بذل (سلم) ذاته فيها ليتألم عن خطايانا والموت الذى قبله بذاته بارادته وحده عنا كلنا » .

+ يأخذ الكاهن الخبز على يديه وهو يقول : « أخذ خبزاً على يديه المقدستين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين » .

+ وبعد مرد الشعب يقول الكاهن : « ونظر إلى فوق إلى السماء نحوك يا الله أباه وسيد كل أحد . **وشكر.** فيقول الشعب (والشمامسة) : آمين . **وباركه.** فيقول الشعب (والشمامسة) : آمين . ثم يقول **وقدسه.** فيقول الشعب (والشمامسة) : آمين .

الشكر والبركة والتقديس عملها السيد الرب يسوع المسيح عند تأسيس سر التناول المقدس . (انظر لو٢٢ : ١٩ ، مر١٤ : ٢٤) .

بعد مرد الشعب يقول الكاهن وهو يقسم القربانة إلى ثلث وثلثين الثلث عن اليمين والثلثين عن الشمال ، وثلاث أثلاث القربانة رمز للثالوث القدوس فى الله الواحد بالجوهر ، وتقسيمها إلى ثلث وثلثين حسب ما فيها من ثقوب ، ثم يقول « وقسمه » ثم ينفخ فى القربانة نفخة الروح القدس ثم يكمل : « وأعطاه لتلاميذه القديسين ... إلخ » .

+ يقول الكاهن :

« هكذا الكأس أيضاً من بعد العشاء مزجها من خمر وماء وشكر وباركها وقدسها .

+ بعد مرد الشعب يقول الكاهن « وذاق » ثم ينفخ فى الكأس نفخة الروح القدس كما فعل فى الخبز ، ويكمل قائلاً « وأعطاها أيضاً لتلاميذه المكرمين القديسين ...

+ وفى نهايتها يقول الشعب ، **وهذا أيضاً هو بالحقيقة آمين » .**

+ هنا يدور الكاهن الشريك فى الهيكل (حول المذبح) بالمجمرة بينما الكاهن الخديم يشير إلى الخبز والكأس بيديه ويقول : « لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس ...

يرد الشعب :

بموتك يارب نبشر ... ... إلخ .

+ دوران الكاهن الشريك بالمجمرة حول المذبح أثناء صلوات التقديس يشير إلى الكرازة بالمسيح الذى بذل ذاته عنا وتألم من أجلنا، وهنا نلاحظ مرد الشعب:

« بموتك يارب نبشر و بقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف ...

+ يقول الكاهن:

« فالآن يا الله الآب ضابط الكل ...

وفيها يقول « وننتظر ظهوره الثانى ليدين المسكونة بالعدل، فيصرخ الشعب مسترحماً الله قائلاً: « كرحمتك يارب وليس كخطايانا ».

+ يقول الكاهن:

« أنت الذى وضعنا أمام مجدك القدوس قرابينك مما كل يا أبانا القدوس ».

فيصرخ الشماس منبهاً الشعب غ

اسجدوا لله بخوف.

+ وهنا يقول الكاهن صلاة سرية:

« نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لا تخزنا بالخزى الأبدى ... » وهى صلاة توبة عميقة يطلب فيها الصفح عن الخطايا والآثام والزلات وأن يسمع الله طلبة شعبه و يلتفت إلى تنهد عبيده، وهنا يصرخ الشعب باللحن المعروف المحبوب من كل الشعب: « ارحمنا ياالله الآب ضابط الكل ... ».

ثم يشير الكاهن إلى الشعب بيده و يقول:

« ارحمنا ياالله الآب ضابط الكل » ثلاث مرات.

ملحوظة: كقاعدة عامة عن لحن « جى نای نان » يستحسن أن تكرر العبارة نفسها ثلاث مرات، ففى القداس الكيرلسى تكرر عبارة « ارحمنا ياالله الآب ضابط الكل » لأنه قداس موجه إلى الآب، ولا تقال غير هذه العبارة سواء بالعربى أو بالقبطى أو باليونانى، أما فى القداس الغريغورى فتكرر عبارة « ارحمنا ياالله مخلصنا »

ولا يقال غيرها لأنه قداس موجه للإبن . أما أداء هذا اللحن بالطريقة الحالية .

١ ـ ارحمنا يا الله ضابط الكل .
٢ ـ ارحمنا يا الله مخلصنا .
٣ ـ ارحمنا يا الله ثم ارحمنا .

سواء فى القداس الباسيلى أو الغريغورى أو الكيرلسى فليس له أصل فى الطقس ، كما أنه يذكر أقنومى الآب والإبن فقط ولا يذكر أقنوم الروح القدس ، فضلاً عن أن هذه الطريقة مستحدثة ومن الأفضل الرجوع إلى الطريقة الصحيحة الأصلية .

+ بعد ذلك يقول الشماس منبهاً الشعب : « اسجدوا لله الآب ضابط الكل » استعداداً لحلول الروح القدس لتقديس وتحويل الأسرار وهذه اللحظات هى أرهب وأقدس لحظات القداس كله .

+ يقول الكاهن سر استدعاء الروح القدس :

« ارسل من علوك المقدس ... روحك القدوس » .

ثم يشير إلى الخبز والكأس ويكمل السر قائلاً على هذا الخبز وعلى هذه الكأس لكى يتطهرا ويتحولا .

+ بعد ذلك يرشم على الخبز ثلاث رشومات بسرعة وهو يقول جهراً : « وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح » .

+ ثم يرشم على الكأس ثلاث رشوم بسرعة وهو يقول : « وهذه الكأس دماً كريماً للعهد الجديد الذى له » .

+ بعد ذلك يقول الكاهن « ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح » .

ملاحظات :

١ ـ يجب أن تتركز الرشومات الثلاثة لكل من الخبز والكأس فى كلمة « وهذا الخبز » أو « وهذه الكأس » .

لأن عند قوله عبارة « ويجعله جسداً مقدساً له يتحول الخبز إلى جسد المسيح » وعند قوله « دماً كريماً .. » يتحول المزيج الذى فى الكأس إلى دم المسيح .. » ولا يجوز رشمهما باليد أو بالصليب بل تكون الرشومات بعد ذلك منهما وإليهما أى نرشم الجسد بالدم ونرشم الدم بالجسد ، فى الرشومات التالية لذلك ..

٢ ـ نلاحظ أن القداس الكيرلسى يتميز عن القداسين الآخرين بقوله : « ... وملكنا كلنا يسوع المسيح » .

٣ ـ بانتهاء صلوات التقديس يتحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دم المسيح .

٩ ـ الطلبة

بعد ذلك يقول الكاهن الطلبة الآتية وبعد كل عبارة يجاوبه الشعب « آمين » ..

+ لكى يكون لنا جميعاً نحن الآخذين منهما إيماناً بغير فحص ومحبة بغير رياء ... إلخ .

+ المحبة بغير رياء مطلوبة جداً وواجبة كنصيحة معلمنا بولس الرسول « المحبة فلتكن بلا رياء » (رو١٢ : ٩) .

+ الرجاء الثابت فى الله واجب ومطلوب ، فمعلمنا بولس الرسول يقول .. « رجاؤنا من أجلكم ثابت » (٢كو١ : ٧) .

كما يقول أيضاً « لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا (عب٦ : ١٨ - ٢٠) .

+ شركة سعادة الحياة الأبدية هى هدفنا كلنا ، ونستطيع الوصول إليها بالتوبة والالتصاق بالرب والاتحاد به والتناول من جسده ودمه الأقدسين حسب وعده المبارك ... « من يأكل جسدى و يشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يو٦ : ٥٤) .

+ فى نهاية الطلبة يصلى الشعب قائلاً :

« كما كان وهو كذلك يكون إلى جيل الأجيال وإلى سائر دهر الدهور آمين ».

يقول الكاهن قطعة :

« لكى و بهذا كما أيضاً فى كل شىء .. إلخ »

١٠ ـ مقدمة القسمة والقسمة

+ يصلى الكاهن مقدمة القسمة « وأيضاً فلنشكر الله ... إلخ.

ثم يأخذ الجسد على يديه و يقول :

« الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا ».

يقول الشماس : آمين آمين صلوا .

يقول الشعب : يارب ارحم .

ملاحظة : يجب الالتزام بهذه النصوص وعدم الخروج عنها .

+ بعد ذلك يبدأ الكاهن بصلاة القسمة .

بعد اعطاء الشعب السلام « ولروحك أيضاً » .

+ قسمة القداس الكيرلسى « يا الله الذى سبق فوسمنا للبنوة بيسوع المسيح ربنا ...

وهى تقال فى الأيام السنوية ، أما الأصوام والمناسبات الأخرى فلها قسم خاصة بها موجودة فى آخر الخولاجيات .

+ أثناء صلاة القسمة يقسم الكاهن الجسد المقدس بالطريقة المعروفة . وعملية تقسيم الجسد المقدس تمثل عملية آلام المسيح بأجلى وضوح وتصور ما حدث فى جسد المسيح من جروح وتسلخات ، وتضعنا على الجلجثة وجهاً لوجه مع المسيح المتألم فيصرخ الشعب بعد كل عبارة من عبارات القسمة مستمطراً مراحم الرب المتألم لأجلنا قائلاً « كيرياليصون . كيرياليصون . يارب ارحم »

+ يختم القسمة بصلاة « جيبينيوت » أبانا الذى فى السموات .

١١ـ صلوات الخضوع والتحليل

يقول الكاهن صلوات الخضوع الآتية :

١ ـ نعم نسألك يا الله ضابط الكل لا تدخلنا فى تجربة ... إلخ .

٢ ـ يا الله الذى أحبنا هكذا وانعم علينا برتبة البنوة ... إلخ .

٣ ـ التحليل : أيها السيد الرب الإله ضابط الكل شافى نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ... إلخ .

وهو نفس تحليل القداس الباسيلى .

١٢ـ الرشومات الأخيرة والاعتراف

هى نفس الرشومات والاعتراف فى القداس الباسيلى بلا زيادة ولا نقصان من أول القدسات للقديسين إلى آخر الاعتراف (انظر الخولاجى الكبير طبعة القمص عطا الله المحرقى ص ٣٩٦- ٤٠٧) .

واعتقد أن القداس الباسيلى هو الذى أخذها من القداس الكيرلسى (المرقسى) لأنه هو الأقدم .

١٣ـ التوزيع

+ توزيع الأسرار والتناول نظامه واحد فى كل القداسات وقد سبق الكلام عنه .

بعد إنتهاء التناول وغسل الأوانى يقول الكاهن صلوات شكر :

١ ـ أية بركة وأى تسبيح وأى شكر نستطيع أن نكافئك به يا الله محب البشر ... إلخ .

٢ ـ انت الذى وضعنا حياتنا عندك يارب احفظنا فى كل موضع نحضر فيه ... إلخ .

١٤ـ التسريح

+ بعد ذلك يصرف الكاهن ملاك الذبيحة بالطريقة السابق ذكرها فى القداس الباسيلى و يرش الماء على الشعب .

+ يقول البركة وصلاة أبانا الذى ثم يعطيهم التسريح و يوزع الأولوجية ثم ينصرف الشعب إلى بيوتهم بسلام شاكرين الرب على هذه النعم العظيمة والبركات الوفيرة التى يحصلون عليها من حضور القداس الإلهى والتناول من الأسرار المقدسة الإلهية .

+ الذين تناولوا ينزلون إلى بيوتهم وإلى العالم وقد أخذوا الله معهم وقد اتحدوا به بالتناول فيعطيهم قوة فى جهادهم و يسندهم فى مسيرتهم أثناء غربتهم فى هذا العالم .

+ حينما نتناول من جسد المسيح ودمه ثم ننزل إلى العالم نجتهد أن لا يشغلنا العالم عن البركات التى نلناها ولا يغرينا بمباهجه وملذاته وشروره .

+ ننزل إلى العالم فى معية المسيح فنحبه محبة مسيحية على أعلى مستوى .

+ ننزل إلى العالم بوداعة الرب يسوع فنتعامل معه ليس بقدرتنا الضعيفة بل بقدرة المسيح الفائقة المعرفة على الحب والاحتمال والصبر والتسامح والعطاء .

بركة هذه القدّاسات الإلهية و بركة القديسين الذين وضعوها وصلوا بها وسلموها إلينا فلتكن معنا كلنا آمين .

بعض مراجع الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه .

٢ ـ الخولاجى الكبير طبعة القمص عطا الله المحرقى .

٣ ـ السنكسار القبطى

٤ ـ نسكيات باسيليوس اصدار دير السريان .

٥ ـ ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول لقداسة البابا شنوده الثالث .

٦ ـ القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات للقس الراهب بولا البراموسى .

٧ ـ القديس كيرلس عامود الدين اصدار مطرانية اسوان .

٨ ـ روحانية طقس القداس للمؤلف .

٩ ـ كيف تستفيد من القداس الإلهى للمؤلف .

١٠ ـ المسيح فى سر الأفخارستيا للقمص تادرس يعقوب .

١١ ـ تأملات فى القداس الإلهى كنيسة مارجرجس اسبورتنج .

١٢ ـ أقوال الآباء فى شرح التسبحة والقداس كنيسة العذارء محرم بك .

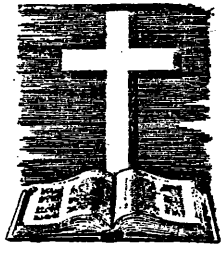

كتب للمؤلف

١ - وضع نفسه (.عن تواضع الله) .
٢ - تأملات روحية في مزامير صلاة النوم طبعة ثانية .
٣ - تأملات روحية في المزمور الكبير - الجزء الأول .
٤ - الصلاة المقبولة .
٥ - العبادة الكاملة .
٦ - الإلتصاق بالله .
٧ - ابصاليات بعض الأعياد السيدية (قبطى عربى) .
٨ - التوبة من أقوال الآباء .
٩ - روحانية الصلاة بالأجبية .
١٠ - روحانية التسبحة . سبعة أجزاء فى مجلد واحد . طبعة ثانية .
١١ - روحانية طقس القداس . طبعة ثانية .
١٢ - كيف تستفيد من القداس الإلهى . طبعة ثالثة .
١٣ - الدعوة الرهبانية .
١٤ - نظام قبول المبتدئين فى الرهبنة .
١٥ - سمو الرهبنة طبعة ثانية . أربعة أجزاء فى مجلد واحد .
١٦ - آلامنا وأمجادنا .
١٧ - من أقوال الشيخ الروحانى (يوحنا سابا) مع سيرته .
١٨ - مرضان خطيران (الحسد والإدانة) وعلاجهما .
١٩ - حياة ملشيصادق . طبعة ثانية .
٢٠ - سيرة القديس باخوميوس أب الشركة وأقواله .
٢١ - سيرة القديس متاؤس الفاخورى بجبل اسنا وأقواله .
٢٢ - سيرة الأرخن العظيم ابراهيم الجوهرى وشقيقه جرجس الجوهرى .
٢٣ - سيرة الشهيدين العظيمين أباكير و يوحنا .
٢٤ - سير بعض قديسى ومشاهير بنى سويف والبهنسا .

٢٥- من ميامر أسبوع الآلام .

٢٦- أذكر خالقك فى أيام شبابك .

٢٧- الدفنار لكل السنة القبطية .

٢٨- حتمية التجسد الإلهى .

٢٩- الكلمات السبع الموجهة إلى المسيح المصلوب .

٣٠- شهود الصليب .

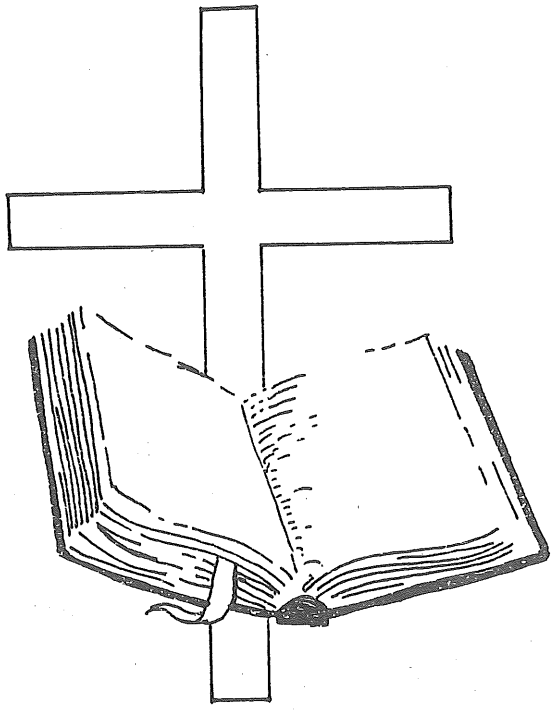

فهرست الكتاب

الصفحة

مقدمة الكتاب ٧
سيرة حياة القديس باسيليوس الكبير ١٠
القداس الباسيلى ـ القسم الأول . تقدمة الحمل ٣٣
١ ـ الاستعداد ٣٣
٢ ـ اختيار الحمل ٣٤
٣ ـ دورة الحمل ٣٧
٤ ـ الرشومات ٣٨
٥ ـ صلاة الشكر ٤٠
٦ ـ أوشية الغطاء ٤٠
(القسم الثانى القداس التعليمى أو قداس الموعوظين) ٤١
١ ـ تحليل الخدام ٤١
٢ ـ دورات البخور ٤١
٣ ـ الثلاث تقديسات ٤٣
٤ ـ انجيل القداس ٤٣
٥ ـ الثلاث أواشى الكبار ٤٤
القسم الثالث (قداس المؤمنين أو قداس الذبيحة)
تمهيد : أولاً : قانون الإيمان ٤٧
ثانياً : صلاة الصلح والقبلة المقدسة ٤٨
بدء قداس الذبيحة ٥٢
أقسام قداس الذبيحة ٥٢
١ ـ رشومات أو كيريوس ٥٤
٢ ـ رشومات أجيوس ٥٦
٣ ـ صلوات التقديس ٥٨
٤ ـ الأواشى السبع ٦٠

٥ ـ مجمع القديسين ٦٢
٦ ـ الترحيم ٦٤
٧ ـ مقدمة القسمة ٦٥
٨ ـ القسمة والتحاليل ٦٥
٩ ـ الرشومات الأخيرة ٦٧
١٠ ـ الاعتراف ٦٨
١١ ـ التوزيع ٦٩
١٢ ـ الصلوات الأخيرة والتسريح ٧٠
سيرة القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات ٧٤
القداس الغريغورى ـ أقسامه ـ مقدمه ٨٩
١ ـ رشومات إى أغابى ٩٠
٢ ـ رشومات أجيوس ٩١
٣ ـ صلوات التقديس ٩٤
٤ ـ الطلبة الأ ولى ٩٦
٥ ـ الأ واشى ٩٦
٦ ـ مجمع القديسين ٩٧
٧ ـ الترحيم ٩٧
٨ ـ صلوات بعد الترحيم ٩٨
٩ ـ مقدمة القسمة والرشومات ٩٨
١٠ ـ القسمة ٩٩
١١ ـ صلوات الخضوع والتحليل ٩٩
١٢ ـ الرشومات الأخيرة والاعتراف ١٠٠
١٣ ـ التوزيع ١٠٠
١٤ ـ صلوات شكر بعد التناول ١٠١
١٥ ـ البركة والتسريح ١٠١
سيرة القديس مارمرقس الرسول ١٠٤
سيرة القديس كيرلس عامود الدين ١١٢
القداس الكيرلسى ـ تطور تاريخه ١٢١
مميزات القداس الكيرلس ١٢٢
ترتيب صلوات القداس الكيرلسى ١٢٤

صلاة الصلح ـ مقدمة ١٢٥
١ ـ رشومات الرب مع جميعكم ١٢٥
٢ ـ قطعة مستحق وعادل ١٢٦
٣ ـ الأ واشى ١٢٦
٤ ـ الطلبة ١٣٥
٥ ـ قطعة لأنك أنت هو الله ١٣٥
٦ ـ رشومات أجيوس الثلاثة ١٣٦
٧ ـ قطعة قدوس ١٣٧
٨ ـ صلوات التقديس ١٣٧
٩ ـ الطلبة ١٤١
١٠ ـ مقدمة القسمة والقسمة ١٤٢
١١ ـ صلوات الخضوع والتحليل ١٤٣
١٢ ـ الرشومات الأخيرة والاعتراف ١٤٣
١٣ ـ التوزيع ١٤٣
١٤ ـ التسريح ١٤٤
بعض مراجع الكتاب ١٤٥
كتب للمؤلف ١٤٦